

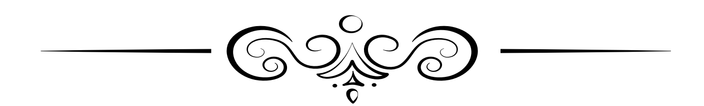
الإرساليات التبشيرية في عدن

(1839 - 1967م)

د / هناء عبدالكريم فضل عبدالله

الإرساليات التبشيرية
في عدن

(1839 - 1967م)



د / هناء عبدالكريم فضل عبدالله



رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية بعدن: (١١٤٨) لعام ٢٠٢٠م

الطبعة الأولى: ٢٠٢٠



دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتف وواتس آب: 00201008170225
بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com



الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى أحب الناس إلى قلبي

إلى والدتي أطال الله في عمرها

زينب

المقدمة

يعتبر الخطر الداهم على المجتمعات الإسلامية بعد الاستعمار والحروب الطويلة بين المسلمين وأعدائهم هو التنصير، والمجتمع المسلم لم يسلم من هذه الظاهرة بل أضحى من أكثر المجتمعات تعرضًا لها نظرًا للأطماع التبشيرية في تحويل المسلمين عن عقيدتهم إلى عقيدة النصارى وتركهم بلا هوية ولا دين، ومن هذه البلاد التي لم تسلم من موجات التنصير المستمرة مستعمرة (عدن) التي أصبحت هدفًا مقصودًا وأملًا منشودًا تسعى للوصول إليه منظمات التبشير العالمية الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها.

فقد كثرت التحديات التي تواجه العالم الإسلامي وتنوعت، والتي منها ما يعرف بالغزو الفكري في شتى مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية وغيرها، والمتمثلة في التنصير والاستشراق والتغريب، وكلها تشترك في هدف واحد وهو إبعاد المسلمين عن الإسلام وأصوله التي كانت السبب في تفوق المسلمين ورفعتهم.

كان المبشرون يستخدمون كل الوسائل لتحقيق الأهداف المرسومة، ولنشر الفكر الهدام في ديار الإسلام، كما أخذ المد التبشيري يغزو العالم الإسلامي بخطوات واسعة يعاونه الفكر الاستشراقي والتمويل الغربي.

وقد رأيت أن من الواجب البحث في هذا الموضوع الخطير لهذا حاولت في هذه الدراسة الموسومة بـ(الإرساليات التبشيرية في عدن 1839 - 1967م) أن أتناول فترة مهمة في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر.

وقع اختياري على هذا الموضوع لأهميته في اعتباره أول بحث علمي يناقش دور الإرساليات التبشيرية في عدن أثناء الاحتلال البريطاني لها.

الجدير بالإشارة إليه في هذا الصدد أن مستعمرة عدن كانت محط أنظار العالم ومجال تطلعاته، نظرًا لموقعها الجغرافي الإستراتيجي المهم الذي يشرف على مضيق باب المندب البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، والطريق الرئيسي للتجارة بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، فكانت بريطانيا وغيرها تسعى إلى التبشير في هذه المنطقة.

حاولت قدر المستطاع تقديم معلومات وافية لهذه الحقبة التاريخية من تاريخ عدن وقد واجهت صعوبات عديدة لحساسية الموضوع في نظر كثير ممن يملكون معلومات يمكن أن تثري البحث بالإضافة إلى الحساسية التي تحيط بكثير من المواقع التي هي جزء من البحث كالكنائس وخاصة كنيسة القديس أنتوني التي لم يسمح لنا القس بدخولها.

في اعتقادي أن هذا الموضوع لم يقدم من قبل كدراسة أكاديمية، وذلك ربما لحساسية هذا الموضوع، لذا أرجو أن يصبح هذا الجهد المتواضع حلقة في سلسلة الأبحاث والدراسات التي تناولت تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، وتتمكن هذه الدراسة من ملء جزء من الفراغ في المكتبة اليمنية والعربية.

وعلى الصعيد نفسه امتازت مقابلاتي مع بعض الشخصيات المعاصرة للحقبة الزمنية موضوع الكتاب بالحصول على معلومات مهمة لم تتطرق إليها الكتابات السابقة، لهذا نأمل أن تغطي تلك المعلومات بعض جوانب النقص.

وقد تم الاعتماد على منهج البحث التاريخي والتحليلي للوقائع والمعلومات والمعطيات، ومن خلال الاستناد إلى الوثائق كمنبع رئيس لهذا الموضوع، ومن هذه الوثائق الكتيبات التي كانت توزع لأبناء عدن لتبشيرهم بالمسيحية، وهذه الكتيبات محفوظة في مركز حنبلة للتوثيق.

بالإضافة إلى المقابلات الشخصية للذين عاصروا هذه الحقبة التاريخية موضوع الكتاب، كما تم الاستفادة من الأبحاث والدراسات العلمية التي تناولت جانبًا من تاريخ عدن ولها ارتباط بموضوع الكتاب.

يتألف هذا الكتاب من أربع فصول، في التمهيد ناقشنا: الأوضاع في عدن ونشاط حركة التبشير، واحتوى الفصل الأول منه أوضاع عدن ما قبل الاحتلال البريطاني لها وأطماع بعض البلدان الأوروبية في عدن، مثل البرتغال، وفرنسا، وهولندا، والدانمرك، وبريطانيا. بينما تطرق الفصل الثاني لموقع عدن وأهميته للمطامع التبشيرية والتغيير الاقتصادي والاجتماعي ومنها دور الجاليات الأجنبية في التبشير.

واحتوى الفصل الثالث دراسة للإرساليات وأصولها السياسية والدينية، واحتوى الفصل الرابع أهداف ووسائل عمل البعثات ومستقبل ونتائج عمل التبشير بالإضافة إلى خاتمة وملخص باللغة الإنكليزية وملاحق.

التمهيد

يمتاز الشعب اليمني عن غيره من الشعوب الأخرى القاطنة في الجزيرة العربية في كونه قد دان بالأديان التوحيدية الثلاثة التي عرفتها الجزيرة العربية، اليهودية ثم المسيحية فالإسلام، ولم يتوقف عند دين واحد من هذه الأديان، ولقد كان تاريخه أشبه ما يكون بتاريخ الصراع بين هذه الأديان، وتختلف الأسباب والظروف التي اعتنق الشعب اليمني في ظلها هذا الدين التوحيدي أو ذاك من الأديان التوحيدية الثلاثة التي عرفتها الجزيرة العربية وبعد ذلك تختلف المكانة التي يحتلها هذا الدين أو ذاك من هذه الأديان ودرجة نفوذه ومدى تأثيره في الحياة الاجتماعية للبلاد، فبينما مثلت اليهودية الدين الرسمي للدولة اليمنية القديمة كانت المسيحية بمثابة دين القلة الخارجة عن القانون والممقوتة في آن واحد، أما الإسلام فقد كان دين الشعب في البداية[1].

ظهرت المسيحية في فلسطين خلال القرن الأول الميلادي، ومنها انتقلت بواسطة الوعاظ والمبشرين إلى بقية أنحاء العالم القديم، وإذا كانت اليهودية قد دخلت جزيرة العرب بالهجرة والتجارة، فإن دخول المسيحية إليها كان بالتبشير وبالتجارة.

وجدت المسيحية لها مكانًا في جنوب الجزيرة العربية وذلك بعد النشاط التبشيري الذي كان يقوم به رجال الدين، حيث كانت الديانة المسيحية قد أصبحت قوة خطيرة في الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الثالث الميلادي

(1) عزالدين كشار: اليمن دنيا ودين، ط1، دار الهمداني، عدن 1988م، ص113 - 114.

وذلك لازدياد عدد أتباعها ازديادًا مطردًا الأمر الذي جعل الإمبراطور قسطنطين يأخذ بسياسة الأمر الواقع فأصدر مرسوم ميلان الشهير عام 313م معترفًا بالديانة المسيحية[1].

وسهل لانتشار المسيحية في جنوب الجزيرة رجال الدين الذين سعوا منذ بداية ظهورها إلى نشرها بين مختلف الشعوب، كما أن تمركز المسيحيين على مواقع تجارية ممتازة مثل نجران والمناطق الساحلية جعلها محط أنظار الدول الأخرى التي كانت قد اتخذت المسيحية دينًا لها مثل روما وبلاد الشام والحبشة.

ومن المؤكد أن الديانة المسيحية وصلت جنوب الجزيرة العربية عن طريق الحبشة[2] وعن طريق البعثات التبشيرية القادمة مباشرة إلى اليمن وكان ممن أرسلهم الإمبراطور (قسطنطين) المبشر (ثيوفيلوس) الذي وصل إلى اليمن للتبشير بالديانة المسيحية ولبناء ثلاث كنائس للتجار الرومان واحدة في عدن والثانية في ظفار والثالثة في هرمز على الأرجح[3].

تميز أبرهة بنشره المسيحية في اليمن فبادرت الكنيسة في الإسكندرية بإيفاد أحد القساوسة إلى اليمن، وقد وضع ذلك القس نظامًا قانونيًا لقي تقدير أبرهة[4].

(1) ذكرى عبدالملك مطهر: الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية، (من القرن الرابع حتى السادس الميلادي)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة صنعاء، 2003 م، ص (42)

(2) أسمهان سعيد الجرو: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن 1996م، ص (253).

(3) اف. ال. بلاي فيري: تاريخ العربية السعيد أو اليمن، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان علي محمد باحشوان، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 1999م، ص (70)

(4) محمد يحي الحداد: تاريخ اليمن السياسي قبل الإسلام وبعد الإسلام، اليمن المعاصر، ط3، دار الهناء للطباعة، القاهرة 1976م، ص 118.

وأخذت الديانة الجديدة تنتشر وبنيت الكنائس في مدن كثيرة في اليمن أهمها كنيسة (القليس) التي بناها أبرهة الأشرم الحبشي في صنعاء والتي حاول أن ينافس بها الكعبة المشرفة لتحويل السوق التجاري في موسم الحج عنها إلى اليمن وقد ازدهرت المسيحية في بلاد نجران، وكان من الطبيعي أن يتنافس المسيحيون واليهود في اليمن وأن يحدث بينهم العداء، وفعلًا حدث هذا التنافس الذي فرق بين اليمنيين وفك وحدتهم وحارب بعضهم بعضًا[1].

وقد تحدثت المصادر العربية الإسلامية عن تلك الكنيسة التي كانت تعد من أضخم كاتدرائيات ذلك العصر فقد أرسل الإمبراطور البيزنطي لأبرهة المهندسين للمشاركة في بناء تلك الكنيسة بناء على طلبه كما أرسل له الفسيفساء والمرمر[2].

كما كانت لهم كنائس في مأرب وظفار، وقد عهد الأحباش بتدبير شؤون كنيسة ظفار إلى أسقف شهير يقال له (جرجنسيوس)، وهو مؤلف كتاب شرائع الحميريين وله مناظرات مع اليهود.

وقد بقيت النصرانية قائمة في اليمن في أيام الإسلام، ففي أخبار الكنيسة أن رئيس البطارقة النساطرة (طيموثاوس)، نصب في أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفًا لنجران وصنعاء اسمه بطرس.

وذكر أنه في حوالي عام 1210م كان في منطقة صنعاء خمسة أساقفة وأسقف في مدينة زبيد، و أسقف في نجران، وأنه كان في حوالي عام 1250م أسقف في عدن[3].

---

(1) أسمهان سعيد الجرو: مرجع سبق ذكره، ص (304).
(2) أسمهان الجرو: مرجع سبق ذكره، ص (304).
(3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6،ط 1، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1970م، ص (619).

ويتضح لنا أنه على الرغم من وجود مكانة للديانة المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، فإنها لم تلق قبولًا في المجتمع، وذلك لارتباطها منذ البداية بالإمبراطورية البيزنطية والحبشة، الأمر الذي أدركه أبناء جنوب الجزيرة العربية، ورأوا في المسيحية امتدادًا لنفوذ السيطرة الأجنبية، مما لم يجعلهم يقبلون على اعتناقها، بل على العكس من ذلك فقد حاربوا الديانة المسيحية، والدليل على ذلك أنه لم توجد غير جماعات مسيحية قليلة في البلاد بعد خروج الأحباش، وبذلك فقد كان انتشارها مرتبطًا بالنفوذ الأجنبي، أما وجود الديانة المسيحية كعقيدة اقتنع الناس بها، فلم توجد إلا عند جماعات قليلة تمسكت بها حتى قيام الإسلام.

الفصل الأول

أوضاع عدن ما قبل الاحتلال البريطاني

بدأ الاستعمار الأوروبي الحديث في بلاد التوابل والبهارات والخزف والحرير في الهند والصين، وكان هناك المبشرون والراغبون في اعتناق المسيحية حتى يكونوا عونًا لهم في مواجهة نضال المسلمين والقضاء على الدين الإسلامي بعد طردهم للعرب، وكانت البرتغال أولى الدول البحرية التي اقتحمت العباب بحثًا عن طريق بحري إلى الهند حتى لا تهبط تجارتها المكوس التي تفرض عليها عبر الدول التي تمر بها في غرب أسيا ومصر وجنوا والبندقية ولا تفجعها مخاطر الطرق البرية ومتاعبها.[1]

لقد كان التبشير بالغ الخطورة في تاريخ المستعمرة فقد مهد المبشرون الطريق للمستعمرين، كما أدى المبشرون جهودًا طيبة في مجالات الصحة والتعليم، ولكن التبشير عابه عده أمور أهمها انشغال بعض المبشرين بالتجارة ومعاونة بعضهم للاستعمار.

أ - النشاط البرتغالي الاستعماري في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:

أرسل ملك البرتغال جون الثاني في عام 1487م سفنه البحرية بقيادة كوفلهام في رحلة استكشافية إلى الشرق، حيث مر فيها بالإسكندرية والبحر

---

(1) حسين فوزي النجار: بريطانيا والجنوب العربي، المكتبة الثقافية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967م، ص (13).

الأحمر وسواكن وعدن، حيث وصف كوفلهام المدينة (بأنها تجارية فيها تجار من جميع الأجناس).[1]

ثم مهدت عمليات الكشوف الجغرافية فيما وراء البحار للبرتغاليين السبيل أمام الرحالة فاسكو دي جاما ليقوم برحلته حول رأس الرجاء الصالح في عام 1497م ثم إلى الهند.

وفي عام 1503م تمكن الرحالة البرتغالي لود فيكو دي بارثيما من زيارة عدن، وقد مثلت تلكما الرحلتان البدايات الأولى لظهور الأوربيين وخاصة البرتغاليين في البحر الأحمر وموانئه.

لقد مثلت تلكما الرحلتان البرتغاليتان أيضاً تدشيناً للوجود الأوروبي وإيفاد السفن والبحارة الأوروبيين إلى سواحل البحر الأحمر وميناء عدن في العصر الحديث، حيث أن تلك الرحلات كانت البداية لرحلات متواصلة لدول أوروبا للاكتشاف والتأكد من الطريق الموصل إلى الهند وتأمين هذا الطريق للحملات الأوروبية القادمة، وكذا امتداداً لتنفيذ مطامع البرتغاليين في الشواطئ الشرقية ، ومن أجل السيطرة على الممرات والمضايق المائية الموصلة إليها وخاصة الطريق الموصلة إلى الهند.

كانت الانتصارات الحربية والتجارية المتواصلة للبرتغاليين حينذاك قد دفعهم إلى اتخاذ خطوة أكثر إيجابية وهي إقامة حكومة استعمارية برتغالية في الهند فقد، عيَّن ملكهم عام 1505 م (فرانسيسكو دالميدا) حاكماً عاماً للبرتغاليين في الهند كنائب لملك البرتغال وعمل دالميدا طول الأربع

---

(1) نصر سالم هادي: عدن الموقع الاستراتيجي (أهميته التاريخية والمنافسة الدولية للسيطرة عليها)، الندوة العلمية الأولى (الماضي – الحاضر – المستقبل)، 16 – 17 مايو 1999 م، الجزء الثاني، جامعة عدن للطباعة والنشر 1999م، ص(655).

سنوات حتى عام 1509م على إقامة دعائم الحكم الاستعماري البرتغالي في ساحل ملبار، وتوجيه الحملات الحربية إلى الجهات المختلفة لفتح مجالات التجارة أمام البرتغاليين في البحار الشرقية.[1]

وهذا يفسر لنا قيام البوكيرك بمهاجمة عدن في 24 مارس عام 1512م ثم نقل معاركه البحرية إلى داخل البحر الأحمر، فقد كان في نيته أن يحاول الاتصال بملك الحبشة النصراني أو ما كان يسميه البرتغاليون آنذاك (برسترجون) خصوصًا وان الملكة (هيلينا) والدة الإمبراطور لبنا دنجل كانت قد أرسلت البوكيرك في فتره سابقة تطلب الحصول على مساعدة البرتغاليين في وقف النشاط الإسلامي والذي يمثله ملوك مملكة (عدل) الذين سيطروا على إقليم هرر وطريق التجارة بين أثيوبيا والبحر الأحمر.[2]

وبالرغم من فشل البوكيرك في احتلال عدن أو جده فإنه نجح في أن يرسم لحلفائه خطة غزو البحر الأحمر إلى أقصى شماله عن طريق المعلومات التي جمعها حول طبيعة هذا البحر ومراكزه المختلفة وحركة التجارة فيه.

ويتضح من ذلك: بأن البوكيرك كان يهدف من وراء دخوله البحر الأحمر إلى مهاجمه جده ثم الوصول إلى المدينة المنورة ونبش قبر الرسول ﷺ تنفيذًا لوصية ملكه أمانويل باقتلاع جذور الإسلام وضربه في عقر داره.

وتركزت خطته التي أراد أن ينفذها على النحو التالي:

---

(1) فاروق عثمان أباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (1839 – 1918م) الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص (39).

(2) محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين (1507 – 1525)، دار الكتب الوطنية، الإمارات 2000م، ص(261).

1 - العمل على تجهيز أربعمائة من الفرسان البرتغاليين من بحارة الأسطول وإنزالهم في ميناء ينبع بعد الحصول على الخيول من الحبشة، ومن هناك يتجه هؤلاء الفرسان إلى المدينة المنورة حيث مسجد الرسول ﷺ لنبش القبر الشريف والاستيلاء على كل الكنوز الإسلامية الثمينة في المسجد ونقلها مع الرفات الشريفة خارج الحجاز تمامًا، على أن يبدأ ملك البرتغال بعد ذلك مساومة المسلمين بافتداء الرفات فيسلموا له كنيسة القيامة في القدس.

2 - الهدف الثاني من دخول البوكيرك البحر الأحمر هو أن يفتح طريقًا، أي حفر قناة بين جبال البحر الأحمر والنيل لتحويل مجرى النهر الكبير ليصب في أراضي (برسترجون) فقط وليحرم مصر منه.[1]

وكان السلطان (قنصوه الغوري) قد أكمل إعداد الحملة البحرية الثانية في أغسطس عام 1515م والتي عرفت بحملة الهند غير أنه لم يقدر لهذه الحملة أن تصل إلى هدفها النهائي في الهند، فقد أراد حسين الكردي[2] إقامة قواعد بحرية مملوكة على السواحل اليمنية إلا أن السلطان الطاهري رفض ذلك بناء على دوافع وطنية فاضطر حسين الكردي إلى مهاجمة السواحل اليمنية فاحتل جزيرة كمران وبعض المدن التهامية ولكنه صُد عن عدن في 19 أغسطس عام 1516 م ، وإزاء هذا الفشل في احتلال عدن قرر المماليك تأجيل ذهابهم إلى الهند كما قرروا جعل سواحل تهامة اليمنية خط دفاع

(1) محمد حميد السلمان:مرجع سبق ذكره، ص (269).
(2) محمد عبدالعال أحمد: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1980م، ص(104).

أول عن البحر الأحمر على أن تكون جدة خط الدفاع الثاني.[1]

وفي فبراير 1516 م وصل برتغالي آخر هو الفاريز إلى عدن حيث وجد حاكم المدينة نفسه مضطرًا لتسليم مفاتيحها إليه خاصة بعد أن حطم المماليك تحصينات المدينة في حملتهم التي قادها الرئيس سليمان، ولقد كان لتسليم حاكم عدن لمفاتيح المدينة أثرًا في إرضاء القائد البرتغالي والذي أرجأ مسألة السيطرة على المدينة إلى حين عودته.

لم يقضِ الفشل الذي لاقاه البرتغاليون في عدن عام 1512م على خططهم لمحاولة السيطرة عليها مرة أخرى، ففي 8 فبراير عام 1517م وصلت حملة برتغالية جديدة بقيادة (لوبو سواريز) نائب الملك في الهند الذي أعقب البوكيرك، بهدف السيطرة على البحر الأحمر وإغلاقه نهائيا في وجه التجارة العربية، وكان معه أسطول مكون من نحو (30) سفينة ونحو ألفي جندي. ورسا هذا الأسطول أمام عدن في مارس عام 1517م.

إلا أن حاكم المدينة مرجان الظافري[2] قبِل هذه المرة الخضوع للبرتغاليين وسلمهم مفتاح عدن، وقد قيِل أن مرجان الظافري قام بذلك اتقاءً لشره، ويمكننا فهم هذا الموقف وتفسيره إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الوضع الذي كانت تمر به اليمن في تلك المرحلة.

فقد شهدت المرحلة التي أعقبت حملة البوكيرك عام 1512م وحملة سواريز (1517) أحداثا كثيرة أضرت بموقف اليمن وأضعفت دفاعاته، ولاسيما في عدن.

---

(1) أحمد محمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر (1869 - 1914 م) ط1، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة 2001م، جامعة عدن، الجمهورية اليمنية، ص (29).

(2) هو مرجان عبدالله الظافري نسبه إلى السلطان الطاهري، الظافر عامر الثاني، وكان مرجان حاكمًا على مدينه عدن وكان مشهورًا بالشجاعة والكرم، وهو الذي عمر قبة العيدروس في عدن ودفن فيها بعد وفاته عام 927ه / 1521م.

وإزاء هذا الوضع، اضطر الأمير مرجان إلى الترحيب بحملة سواريز ومنحهم ما طلبوه وصار صديقا للبرتغاليين بسبب خوفه من المماليك الذين كانوا لا يزالون في شمالي اليمن لمساعدة الزيديين ضد الطاهريين، ولاسيما إذا علمنا إن سواريز ذكر لمرجان الظافري أنه إنما جاء أصلا لمقاتلة المماليك وانتزاع جدة من أيديهم، ومن حسن الحظ فإن هذه الضيافة أثرت في نفس سواريز، فلم يفكر في استغلال ضعف مدينة عدن واستسلامها له للسيطرة عليها عسكريا، وإنما اكتفي ليُدخل الطمأنينة في قلب حاكمها مرجان أن قال له يكفي أن نتعامل كحلفاء، وكان هدفه من ذلك - كما يبدو - تأجيل الاستيلاء على المدينة إلى ما بعد تحطيم الأسطول المملوكي في جدة بجهد يماني ـ برتغالي مشترك، ثم الاستيلاء على عدن بعد ذلك.

واتجه سواريز نحو جدة مباشرة[1] وكان يعلم إن الأسطول المملوكي يتركز فيها، وان الوضع قد تغير بعد انتقال الحكم من المماليك إلى العثمانيين. وعلى الرغم من أن القوات المتمركزة في جدة بقيادة العثمانيين أعلنت ولاءها للدولة العثمانية، إلا أنها لم تتلقَ منها أية إمدادات أو تعزيزات جديدة، كما إن أهالي جدة كانوا يعانون من عبء الضرائب الجديدة الفادحة التي كان حسين باشا الكردي قد فرضها عليهم للإنفاق على تحصينات المدينة، يضاف إلى ذلك أن حملة سواريز كانت أول تحدٍ مباشر لسلطة العثمانيين ووجودهم في مصر والحجاز في عهد السلطان سليم الأول الذي قاتل الصفويين والمماليك خلال 1514 و 1517م قتالا ضاريا، ولكنه لم يفعل شيئا إزاء الخطر البرتغالي بعد مغادرته مصر عائدا إلى إسطنبول.

(1) الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا (مجموعة أبحاث) مركز الدراسات والوثائق، ط2، الإمارات 2001م، ص (424).

وهنا تتدخل طبيعة البحر الأحمر ومناخه المتقلب في إعاقة الحملات البرتغالية عليه وعلى جدة تحديدا. فقد هبت عاصفة هوجاء على أسطول سواريز فشتته في البحر وساعدت صخور البحر وشعابه المرجانية في تخريب وإعطاب جزء من سفن الأسطول البرتغالي أيضا إزاء ذلك قرر سواريز الانسحاب فورا والعودة إلى كمران. وكان القبطان (الريّس) سليمان العثماني في جدة مع الجيش المملوكي العثماني قد اعد عدته للمواجهة. وعندما شاهد البرتغاليين ينسحبون، طاردهم على ظهر مركبين مملوكيين ولحق بمؤخرة الأسطول البرتغالي عند ميناء اللحية شمالي اليمن قُبيل جزيرة كمران، وأسر إحدى سفنهم بعد أن ضربها بالمدافع، وكان على ظهرها (17) برتغاليا أخذهم معه إلى جدة ووضعهم في السجن بصفتهم أسرى حرب، ثم أرسلهم إلى القاهرة، ومن هناك أرسلهم إلى السلطان العثماني في إسطنبول

بعد ذلك توجه سواريز نحو جزيرة كمران وظل بها نحو ثلاثة أشهر لحين اعتدال الرياح. وفي هذه الجزيرة فقد أيضا عددا من بحارته بسبب الأمراض وشحه المياه الصالحة للشرب. وقبل أن ينسحب دمر التحصينات التي أقامها حسين باشا الكردي في الجزيرة، وأحرق النخيل، ثم غادر الجزيرة في يونيو عام 1517م متوجها إلى زيلع التي وصلها في يوليو، فقصفها وقتل عددا من أهاليها انتقاما من الفشل الذي أصابه في جدة ثم عاد إلى باب المندب ومنها إلى عدن، ومن عدن قفل عائدا إلى الهند.

ونتيجة لفشله في هذه الحملة عزله الملك البرتغالي عمانوئيل من منصب نائب الملك بعد أقل من ثلاث سنوات من توليه، وكان ذلك في عام 1518م.

ومع ذلك لم ييأس البرتغاليون من السيطرة على عدن لاسيما بعد ازدياد النفوذ العثماني في البحر الأحمر وتخوفهم من وصوله إلى اليمن ومقارعة الأسطول البرتغالي في البحار الشرقية، فأعادوا هجماتهم على عدن أكثر من مرة.

قد شهدت المرحلة الممتدة من عام 1520 م حتى عام 1529 م سلسلة من الحملات العسكرية كان الهدف منها تحطيم دفاعات عدن، ولكنها فشلت.

وفي عام 1530م تعرضت عدن لحملة برتغالية كبرى تمكن بها البرتغاليون من إجبار حاكمها الذي تولى الحكم بعد مرجان الظافري عام 1521م وسقوط الدولة الطاهرية على قبول التوقيع على معاهدة اعترف بموجبها بالسيادة البرتغالية على عدن مقابل اعتراف البرتغاليين بحق العدنيين بالملاحة في المحيط الهندي باستثناء البحر الأحمر وجدة، كما وافق أيضا على مرابطة سفينة برتغالية واحدة في ميناء عدن.[1]

نلاحظ أن النشاط البرتغالي والسعي المثابر للوصول إلى عدن بدأ بالفتور حيث أن البرتغاليين لم يعطوا مزيدًا من الاهتمام لميناء عدن والسواحل اليمنية الأخرى وخاصة بعد سيطرتهم على جوا.

وهكذا انحسر النشاط البرتغالي والمنافسة البرتغالية في البحر الأحمر ليفتحوا المجال ويتركوا الفرصة لدول أوروبية أخرى للتنافس والتصارع للوصول إلى موانئ البحر الأحمر والاهتمام النشط بميناء عدن وموقعها الاستراتيجي المهم.

---

(1) الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا: مرجع سبق ذكره، ص (405).

ب - النشاط البريطاني:

لقد ارتبط الاهتمام الإنكليزي بعدن والمنطقة اليمنية بالقرن السابع عشر الميلادي وذلك عندما وجد التنافس مع بعض الدول الأوروبية خاصة البرتغاليين والهولنديين ففي عام 1600م[1] تم إعطاء شركة الهند الشرقية البريطانية أذنًا للقيام بمشاريع تجارية في عدن وموانئ البحر الأحمر وذلك بعد أن تأكد لهم وعلموا قيمة عدن وأهميتها بالنسبة للتجارة البحرية بعد إرسال أول رحلاتهم التجارية والاستطلاعية إلى البحر الأحمر وعدن في عام 1609م والذي شهد قيام أول وكالة تجارية وأول إقامة بريطانية في المخا.[2]

كانت المحاولات الأولى لهذه الشركة في السنوات الأولى من القرن السابع عشر لإقامة مشروعات تجارية في بلاد اليمن التي يسيطر على أهم ثغورها العثمانيون قد فشلت، فالسفينة اسينشون التي يقودها الكابتن الكسندر شاربي قد وصلت عدن في 8 أبريل عام 1609م حيث استقبلها حاكمها في بداية الأمر استقبالًا طيبًا، غير أن العثمانيين لم يلبثوا أن اعتقلوه وصادروا حمولة سفينته ثم أطلقوا سراحه ورحلوه إلى المخا الميناء الحيوي لليمن حينذاك وبذلك فشلت محاولة البريطانيين المبكرة للتدخل في شؤون عدن والوصول إلى البحر الأحمر[3].

وفي شهر نوفمبر 1610م أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية ثلاث سفن بحرية تحت قيادة السير مدلتون وقد تحرك بإحدى السفن من ميناء

---

(1) نجمي عبدالمجيد – العالم مر من هنا، صحيفة 14 أكتوبر، عدد 15498، 20يونيو 2012م، ص10.

(2) سلطان ناجي التاريخ العسكري لليمن (1839 – 1967م)، الكويت شركة كاظمة، الكويت 1967م، ص (10).

(3) أحمد محمد بن بريك: مرجع سبق ذكره، ص (33).

عدن وأبحر إلى ميناء المخا وتم استقباله بالترحاب من قبل حاكمها العثماني رجب آغا وما لبث أن انقلب عليه العثمانيون وهاجموه وقتلوا عددًا من رجاله وأسروه فيما بعد وساقوه أسيرًا مع عدد من رجاله إلى صنعاء العاصمة وحاولوا مهاجمة السفينة (دارلنج) وبعد تدخل الأستانة أطلق سراحه وبحارته وتم إنذارهم بعدم الاقتراب والعودة إلى الأراضي العربية في الجنوب.

وفي محاولة رابعة للإنكليز تحركت ثلاث سفن بريطانية بقيادة القبطان جون ساريز لزيارة ميناء المخا وكان الحاكم العثماني السابق قد غير بآخر اسمه آدهر يوناني المولد حيث رحب به من قبل حاكمها وطلب منه نسيان تلك الإساءة التي قوبل بها مدلتون وفي تلك الآونة كانت قد صدرت تعليمات من الوالي العثماني في اليمن بمنح الأجانب حرية الإبحار على السواحل اليمنية خاصة مع السفن الهندية.[1]

وسمح لهم أيضًا بشراء كل ما يحتاجون إليه من ميناء المخا وبهذا يكون الإنكليز قد حققوا نجاحًا ملموسًا ومكسبًا سياسيًا واقتصاديًا ولو صغر حجمه نتيجة للتساهل الذي منح لهم من قبل الحاكم العثماني وقد رضيت بريطانيا بهذا المكسب واستمرت العلاقة كذلك حتى مطلع القرن التاسع عشر.[2]

ج - النشاط الهولندي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:

أخذ الهولنديون بعد تحررهم من الحكم الإسباني عام 1581م يباشرون التجارة فيما وراء البحار منافسين بذلك الإنكليز والبرتغاليين، ففي عام

(1) فاروق عثمان أباظة: مرجع سبق ذكره، ص (67).
(2) نصر سالم هادي: مرجع سبق ذكره، ص (656).

1602م تم تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية التي يقوم بإدارتها مجلس مقره أمستردام وتشرف عليها الحكومة الهولندية، وأما أول اتصال للهولنديين ببلاد اليمن فقد تم في أغسطس عام 1614م عندما حاول قائد أسطولهم (بيتر فان دن بروك) أن يفتح وكالة في عدن وبالرغم من أن حاكم عدن قد استقبل قائد الأسطول الهولندي استقبالا طيبا فإنه قد طلب منه أن يغادر الميناء حفاظا على مشاعر التجار الأجانب في عدن الذين اعتبروا مجيء الهولنديين يشكل خطرًا على مصالحهم فأبحر قائد الأسطول شرقًا ووصل إلى ميناء الشحر حيث أقام فيه وكالة.

وفي عام 1620م وصل (بيتر فان دن بروك) إلى المخا فاستقبله حاكمها استقبالًا وديًا وأوضح أنه يوافق على إقامة وكالة هولندية فيها في حالة ما إذا وافق والي اليمن العثماني على ذلك، كما تم الاتفاق بينهما على أن تكون ضرائب الجمارك بنسبة 3,5 ٪.[1]

نستنتج من ذلك أن هذه النسبة قد تثير حفيظة التجار الآخرين من فرس وهنود الذين كانوا يدفعون ضرائب جمركية وصلت نسبتها إلى 16 ٪ وكانت تشكل بذلك جزءًا مهمًا من حصيلة الولاية.

إلا أن الوالي العثماني قد أوضح للقائد الهولندي الذي زاره في صنعاء أنه لا يملك سلطة الموافقة على إقامة وكالة هولندية في المخا لأن مثل هذا التصريح يصدر من السلطان العثماني نفسه، ولا شك أن الوالي العثماني كان يهدف من وراء ذلك إلى المحافظة على سلامة الأماكن المقدسة التي يعرضها للخطر اقتحام أية قوة أجنبية مسيحية للبحر الأحمر.

---

(1) فاروق عثمان أباظة: مرجع سبق ذكره، ص (60).

وبعد أن فقد بيتر فان دن بروك كل أمل في إقامة وكالة لشركة الهند الشرقية الهولندية في المخا قرر نقل بعثته التجارية التي كان قد تركها في ميناء الشحر وعاد إلى الهند.[1]

ويتضح مما سبق أن بيتر فان دن بروك عاد إلى الهند دون أن يحقق لهولندا ما كانت تطمح إليه في منطقة البحر الأحمر.

ولهذا أنشأت شركة الهند الشرقية الهولندية في عام 1652م محطة عند رأس الرجاء الصالح لتزويد سفنها بما يلزمها خلال رحلاتها الطويلة إلى جزر الهند الشرقية وإلى الشرق الأقصى، كما بذل الهولنديون جهودهم لتشجيع هجرة بني جنسهم إلى هذه الجهات.

إلا أن السفن التجارية الهولندية استمرت في زيارتها للمخا بهدف التجارة خصوصًا في محصول البن اليمني الذي نقلوا زراعته إلى جزر الهند الشرقية وجزر الهند الغربية في عام 1712م، كما انتقلت زراعة البن بعد ذلك إلى أمريكا الجنوبية مما أدى في النهاية إلى القضاء على احتكار اليمن لإنتاج ذلك المحصول المهم.

وفي عام 1738م قررت شركة الهند الشرقية الهولندية إغلاق وكالتها في المخا نهائيًا، لأن جاوا أصبحت توفر لهولندا بنًا رخيصًا، كما أن نجم الهولنديين قد بدأ يأفل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر نتيجة للمنافسة الإنكليزية والفرنسية التي تعرضوا لها.

فقد أنفتح المجال أمام البريطانيين للانتقال بتصدير البن والتجارة اليمنية إلى بلدان أوربا، بينما كان التجار الهنود يحتكرون التجارة في مداخل اليمن ذاته.

---

(1) جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية،ط2، دار الفكر العربي، القاهرة 1969م، ص (28).

وكان الفرنسيون قد بدأوا منذ مطلع القرن السابع عشر يقومون بدور في التجارة الشرقية ولهذا أصبح السباق والتنافس بين بريطانيا وفرنسا ظاهرة واضحة خلال القرن التاسع عشر وطغت على أية منافسة لدول أوروبية أخرى[1].

د - النشاط الفرنسي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:

إن الطموحات الفرنسية في تجارة الشرق قد ظهرت منذ زمن طويل إلا أن وصول الفرنسيين إلى البحر الأحمر قد جاء متأخرًا جدًا عن الإنكليز، وكانت فرنسا قد أقامت الكثير من الشركات التجارية في النصف الأول من القرن السابع عشر لتقيم علاقات مع الهند وغيرها من بلاد الشرق.

وفي عام 1664م أعلن كولبرت تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية، وقد نجحت هذه الشركة في إقامة علاقات تجارية مهمة في بعض موانئ جنوبي البحر الأحمر وعلى الساحل الشرقي لإفريقيا وذلك نتيجة لنشاط التجار الفرنسيين الذين ارتادوا هذه المناطق و أقاموا علاقات مع سكانها الأصليين.

كان أول اتصال فرنسي بسواحل البحر الأحمر قد تم في 3 يناير 1709م[2] عندما وصلت البعثة الفرنسية برئاسة دي ميرفيل إلى عدن في 6 فبراير عام 1708م على ظهر السفينتين (كبرييز) و (ديلجينت) التابعتين لشركة سانت مالو الفرنسية من ميناء بريست وعندما وصلت البعثة إلى عدن استقبلها حاكمها بحفاوة.[3]

(1) أحمد محمد بن بريك: مرجع سبق ذكره، ص (36).
(2) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط2، دار العودة، بيروت 1979م، ص (17).
(3) جاد طه: مرجع سبق ذكره، ص (30).

ثم غادرت السفينتان الفرنسيتان ميناء عدن في 17 ديسمبر عام 1708م وتوجهتا بعد ذلك إلى المخا في 3 يناير 1709م وتمكن داي مارفيل من عقد معاهدة مع حاكم المخا نيابة عن الإمام المهدي وكان من أهم بنود هذه المعاهدة أن للفرنسيين الحق في المتاجرة طول النهار إلا أنه عليهم أن يعودوا إلى سفنهم ليلًا كما أنه يمكنهم رفع علمهم الوطني فوق وكالاتهم وأن تكون نسبة الضرائب الجمركية على البضائع المباعة 3 ٪ وكذلك سمح للفرنسيين لمزاولة طقوسهم الدينية.[1]

وترتب على النجاح الذي حققته هذه البعثة الفرنسية الأولى أن قامت الشركة الفرنسية بتوجيه بعثة أخرى في عام 1711م برئاسة دي لالاند وبريكولين إلى البحر الأحمر، وبعد وصولها إلى المخا استدعى الإمام المهدي طبيبًا من إحدى السفن الفرنسية لمعالجته، وقد سر الفرنسيون لذلك لأن هذا يعني زيادة تقربهم من السلطة الحاكمة في اليمن.

وتبعًا لذلك أرسلت بعثة من عشرين شخصًا في 14 فبراير 1712م إلى داخل اليمن وسارت هذه البعثة عبر جبلة ويريم وذمار حتى وصلت إلى مواهب حيث يقيم الإمام.

وظلت البعثة الفرنسية في مواهب ثلاثة أسابيع حتى شفي الإمام، وأثناء وجود هذه البعثة في مواهب جاء رسول من الأستانة إلى الإمام وكانت مهمته هي أن يوضح أنه نتيجة لزيادة التجارة المباشرة بين اليمنيين والأوربيين فإن التجارة والدخول السلطانية قد تأثرت تأثرًا خطيراً.

ولذا طلب الرسول العثماني بعدم الاستمرار في هذا التبادل التجاري المباشر كما طالب بعدم تصدير البن إلى مصر ولكن الأمام المهدي أعطى مطالب السلطان العثماني آذانًا صماء.

---

(1) أحمد محمد بن بريك: مرجع سبق ذكره، (39، 40).

وقد استمرت رحلات السفن الفرنسية التجارية إلى الهند والمخا،إلا أن العلاقات الحسنة بين شركة الهند الشرقية الفرنسية وحكومة الإمام لم تستمر إذ نشأ خلاف بينهما في عام 1737م، وكان سبب هذا الخلاف أن حاكم ميناء المخا يزيد في قيمة الضرائب الجمركية عند تقريره المبدئي ولم يكن يدفع الدين المستحق على الفور، بل كان يؤجله لحين دفع الضرائب الجمركية في السنة التالية.[1]

وبعد مرور سنوات أصبح مدينًا للشركة الفرنسية بمبلغ 82,000 ريال، ولذا أرسلت الشركة أسطولًا مكونًا من أربع قطع بقيادة دي لافار ديجازيير لإرغام حاكم المخا على دفع المبلغ، ولما رفض الحاكم مناقشة هذا الموضوع قام الأسطول الفرنسي بضرب المدينة ضربًا مؤثرا جعل الحاكم يوافق على دفع الدين إضافة إلى توقيعه معاهدة أنقصت الضرائب الجمركية على التجار الفرنسيين من 3 ٪ إلى 2,5 ٪ وقد اغتاظ الإمام من سلوك حاكم المخا فعزله وصادر قصره في صنعاء.[2]

ولاشك أن ذلك يؤكد أن الإمام كان يرغب في الإبقاء على العلاقات الطيبة مع الشركة الفرنسية بما ينشط الحركة التجارية في الموانئ اليمنية حينذاك.

ومع مطلع النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأ الاهتمام الفرنسي بتجارة البن اليمني يقل نتيجة لزراعتهم هذا المحصول في جزيرة ريونيون كما أنهم غادروا وكالتهم في المخا عام 1762م مما جعل الإنكليز ينفردون بتجارة التصدير في المخا.

---

(1) فاروق عثمان أباظة: مرجع سبق ذكره، ص (72).

(2) أحمد محمد بن بريك: مرجع سبق ذكره، ص (41).

هـ - نشاط الدانمركيين في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:

في عام 1762م شكل فردريك الخامس ملك الدنمارك بعثة لدارسة الجزيرة العربية واليمن على وجه الخصوص، وكانت هذه البعثة برئاسة نيبور ووصلت هذه البعثة العلمية إلى اليمن في نهاية ديسمبر 1762م.

وكانت أول مقابلة للبعثة الدنماركية مع الإمام في 19 يوليو 1763م في قصره كما كانت هناك مقابلة أخرى في 23 يوليو حيث سمح للبعثة بعرض الآلات العلمية والمناقشة في الأمور التجارية والأدبية ثم غادرت البعثة صنعاء في 26 يوليو ووصلت إلى المخا في أغسطس من نفس العام.

ويؤكد نيبور أن كل دخل الإمام كان يصل إلى نحو 830,000 ريال في العام إلا أنه بفقده عدة ولايات مهمة وغنية مثل عدن وأبو عريش وتعز، فإن دخله كان لا يزيد في ذلك الوقت عن 500,000 ريال.

وهكذا استمرت عدن في حوزة سلاطين لحج، وبدأ دورها ضئيلا في مجال الإستراتيجية الدولية حتى جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر فوضعت عدن على مائدة السياسة الدولية، وبدأ نوع جديد من الصراع عليها فهو ليس صراعًا بين القوى المحلية أي بين الأمراء والسلاطين والأئمة، بل هو صراع بين قوى دولية ذات مصالح متباينة، إلى أن استطاعت بريطانيا أن تستولي دون غيرها على هذه النقطة الإستراتيجية الحاكمة بين الشرق والغرب.[1]

و - النشاط الأمريكي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:

على الرغم من بعد البلاد الأمريكية عن ميدان التجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي فإن تجارهم النشطين قد حضروا للاشتراك في هذا النشاط

(1) جاد طه: مرجع سبق ذكره، مرجع سبق ذكره، ص (33، 34).

التجاري، وكان أول ظهور للأمريكيين في البحر الأحمر قد تم عندما وصل الكابتن يوزيفروبس على ظهر السفينة ريكفري إلى المخا عام 1796م.

وفي عام 1804م بدأت المحاولات الأمريكية لتأسيس وكالة في المخا، فحصلوا على موافقة الحاكم برفع العلم فوق البيت الذي أستأجره في المدينة، وهكذا نشطت التجارة الأمريكية في المخا في العقد الأول من القرن التاسع عشر ووصل نصيبهم من البن اليمني إلى ثلاثة أرباع إجمالي المحصول عام 1809م.

وقد أدت منافستهم هذه في مجال تلك التجارة إلى رفع سعر البالة من 56 دولارًا إلى 75 دولارًا وقد قام التجار الأمريكيون باستخدام الطريق الموصل إلى البحر عبر رأس الرجاء الصالح مع المرور بمحاذاة الساحل الشرقي لإفريقيا.

لا شك أن ذلك قد وفر عليهم نفقات النقل التي كانت تحصل عليها شركة الهند الشرقية البريطانية والشركات الفرنسية الأخرى التي اتخذت من جزر مورشيوس وريونيون قواعد لها.[1]

(1) مورشيوس: جزر صغيرة في وسط المحيط الهندي تبعد عن مدغشقر بحوالي 860 كم وتشير التقارير أن البحارة العرب زاروا الجزيرة في القرون الوسطى ولكن الرحالة البرتغالي (دون بيدروماسكارينهاس) كان أول من عرف العالم بها في العام 1505 م وقد قام بإطلاق اسم (ماسكارينهس) على مجموعة الجزر المعروفة الآن، بـ(مورشيوس).
ريونيون: هي جزيرة فرنسية يبلغ عدد سكانها حوالي 800 ألف نسمة وتقع في المحيط الهندي شرق مدغشقر على بعد حوالي 200 كم (120 ميل) من مورشيوس أقرب جزيرة، وقد أطلق هذا الاسم على الجزيرة في عام 1793م بموجب مرسوم صادر عن اتفاقية مع سقوط (بيت بوربون) وهى مستعمرة فرنسية تقع في المحيط الهندي في شرقي إفريقيا ومساحتها حوالي 969 ميلا.

وكان التجار الأمريكيون على درجة فائقة من الهمة والنشاط على نحو ما يمثله التاجر الأمريكي تشارلزميليت الذي وصل على ظهر سفينته (آن) في مارس عام 1826م إلى زنجبار مسجلًا وصول أول سفينة أمريكية إلى هذه الجزيرة.

ولأنه لم يتمكن من ممارسة التجارة في هذه الجزيرة، واصل رحلته إلى المخا فوصلها في 20 يونيو وافرغ حمولتها الضخمة من البضائع القطنية والمسامير والتبغ لدى التجار الذين كانوا يقومون ببيعها لحسابه حتى يعود إليهم في رحلته القادمة ثم شحن سفينته بكميات كبيرة من البن وعاد إلى بلاده في بداية عام 1827م وفي عام 1832م عاد جون برترام القائد لسفينة (بلاك واريو) إلى بلاده بشحنة كبيرة من البن اليمني بعد أن سجل أول اتصال تجاري أمريكي مع زنجبار.

لقد دامت منافسة التجار الأمريكيين للتجار البريطانيين في تجارة محصول البن اليمني حوالي نصف قرن، كانت كافية للتأثير على السياسة البريطانية في جنوب غرب بلاد العرب، بل أن الأمريكيين قد تمكنوا من إبعاد البريطانيين من أية مشاركة فعلية في تجارة المخا، وقد أحس البريطانيين أنهم يواجهون منافسًا خطيرًا لمصالحهم في جنوب البحر الأحمر والمحيط الهندي ففي خلال الثمانية عشر شهرًا بين عامي 1832، 1834 م وصلت ميناء زنجبار على الساحل الشرقي لإفريقيا 32 سفينة أمريكية وصل كثير منها إلى جنوب البحر الأحمر، هذا في الوقت الذي لم تصل إلى الميناء المذكور سوى سبع سفن بريطانية لا غير، وقد وصلت إلى ميناء المخا اليمني مجموعة كبيرة من تلك السفن الأمريكية لنقل كميات من البن اليمني الذي كان يلاقي ترحيبًا بالغًا وسوقًا رائجة في الولايات المتحدة الأمريكية.[1]

(1) أحمد محمد بن بريك: مرجع سبق ذكره، ص (43).

إن هذه الجهود الأمريكية للسيطرة على التجارة في البحر الأحمر والبحر العربي والساحل الأفريقي الشرقي، قد جعل القنصل البريطاني في مصر (كامبل) يحث حكومته عام 1837م على فكرة الصراع بامتلاك عدن، لأن عدن ستجذب تجارة البن اليمني المهمة والمربحة بأكملها من ميناء المخا فتصبح بريطانيا مسيطرة تمامًا على تلك التجارة، فتكسر احتكار الأمريكيين لها، بعد أن كانوا يستحوذون على كميات هائلة من محصول البن ويقومون بنقلها إلى الولايات المتحدة بواسطة السفن الأمريكية.[1]

ز - عودة النشاط البريطاني والاهتمام بعدن:

إن الاهتمام البريطاني والتفكير بالسيطرة على المنطقة يعود إلى تاريخ الحروب النابليونية والذي تعد جزء من الحملة المضادة للثورة التي تبنتها بريطانيا لوقف التوسع والنفوذ الفرنسي ومن هنا فطنت لندن إلى أن عدن والخليج العربي مناطق إستراتيجية مهمة لحماية المداخل المؤدية إلى الهند.[2]

لقد ارتبطت عودة بريطانيا إلى عدن وموانئ البحر الأحمر بعاملين أساسيين شكلا دافعًا قويًا لعودة البريطانيين بمساعي وأهداف جديدة إلى المنطقة حيث كان من أهم أسباب عودة البريطانيين إلى عدن العمل للحصول على موقع في تلك المنطقة ومن ثم التفكير والعمل على احتلال وإخضاع عدن لسيطرتها.

لقد مثل وجود الفرنسيين في البحر الأحمر خاصة بعد تلك الانتصارات التي حققها نابليون بونابرت ووصوله إلى مصر عام 1798م وإخضاعها كان

(1) مديحة أحمد درويش: النشاط الأمريكي في جنوب البحر الأحمر 1918 - 1944م، دار الشرق، جده 2008م، ص65.

(2) نصر سالم هادي: مرجع سبق ذكره، ص (657).

قد حول التنافس الأوروبي من وجهته التجارية إلى ميدان المواصلات، فوجود الفرنسيين في مصر أفزع البريطانيون خاصة عندما تبين لهم بأن بونابرت ينوي غزو الهند مما دفع بريطانيا إلى إرسال قواتها البحرية إلى سواحل البحر الأحمر وخاصة السواحل الشرقية لمصر ومن ثم العمل للاستيلاء والحصول على موقع في البحر الأحمر يحقق لها الإشراف والمراقبة لحركة السفن الفرنسية في البحر الأحمر والتصدي لها.[1]

وهكذا بدأت بريطانيا تعد العدة للسيطرة على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية والانتقال من المنافسة التجارية مع فرنسا إلى المنافسة السياسية وكان ذلك التواجد الفرنسي هو الدافع الأول لعودة الإنكليز.

أما الدافع الأخير لبريطانيا فقد تمثل في ما حققه العلم من تطور حيث أنه في أواخر القرن الثامن عشر حقق العالم الاسكتلندي جيمس وات إمكانية استخدام بخار الماء كقوة محركة وتم استخدام الآلة البخارية وحقق المخترعين إمكانية استخدام البخار في تشغيل السفن وهكذا استطاع العلماء تطوير هذا الاختراع حيث تمكنوا من استخدامه لتسيير السفن عبر البحار مما كان دافعًا لرجال التجارة والسياسة ورجال الحروب البريطانيين في ثلاثينيات القرن الثامن عشر إلى تطوير هذا الاختراع وتسيير السفن التي تبحر إلى الهند عبر قناة السويس والبحر الأحمر والبحر المتوسط من الموانئ البريطانية وبواسطة هذا الاختراع سوف يوفر الجهد والوقت والنفقات وعمل البريطانيون على تحقيق هذا المشروع بكل اجتهاد.

لقد لعب اختراع الآلة البخارية دورًا كبيرًا في الدفع ببريطانيا ليس فقط في الحصول على امتيازات تجارية في البحر الأحمر والموانئ المطلة عليه،

---

(1) سلطان ناجي: مرجع سبق ذكره، ص (10).

بـل دفـع بهـا وبسياسـتها ورجـال التجـارة فيهـا إلـى التفكيـر في امتـلاك مواقـع هناك والبدء في تنفيذ تلك المشـاريع الاسـتعمارية والتي كانـت عـدن وموقعهـا الاسـتراتيجي المتميز واحـد مـن هـذه المواقع التـي سيطر عليها البريطانيـون.

وهكـذا بعـد تحطيـم القـوات الفرنسـية لقـوة المماليـك وإنهـاء سـيطرتهم علـى مصـر نجـد أن نابليـون كان يعـد العـدة لتقـدم قواتـه إلـى الهنـد ممـا أشـعر البريطانيـون بخطـورة هـذه النوايـا والتحـرك الفرنسـي لتهديـد تواجدهـم في الهنـد ولمواجهـة ذلـك تـم إرسـال قـوة بحريـة بريطانيـة بقيـادة الأدميـرال بلانكـت للإبحـار إلـى البحـر الأحمـر وإصـدار تعليمـات إلـى بومبـاي لاحتـلال جزيـرة بريـم بهـدف الاسـتيلاء علـى مضيـق بـاب المنـدب وعرقلـة الفرنسـيين مـن الوصـول إلـى الهنـد عـن طريـق البحـر الأحمـر والمحيـط الهنـدي واسـتطاع اللفتنانـت جنـرال مـواراي تحقيـق ذلـك واحتـلال بريـم في مايـو 1799م.

وبعـد ضغـوط سياسـية وانتصـار القـوات البريطانية علـى الفرنسـيين في معركة (أبـو قيـر) البحريـة في مصـر عـام 1801م، تمكـن البريطانيـون مـن طـرد القـوات الفرنسـية مـن مصـر، ومـن ثـم سـعى البريطانيـون للحصـول علـى امتيـازات وتسـهيلات تجاريـة جديـدة مـن حـكام بلـدان البحـر الأحمـر وازدهـرت ممتلـكات بريطانيـا في الهنـد.

إلا أن سـلطان لحـج وعـدن تمكـن مـن تحويـل تجـارة البـن الـذي كان يرسـل إلـى أوروبـا والهنـد والـذي أخـذ طريقـه إلـى مصـر عـبر جـدة ومـن ثـم إلـى القسـطنطينية.

واستطاعت السـفن الأمريكيـة شـراء كميـات كبيـرة منـه ممـا دفـع البريطانيون إلـى إرسـال بعثاتهـم إلـى البحـر الأحمـر لإحيـاء التجـارة واسـتعادة ازدهارهـا، ثـم وصـل مـن جانـب شـركة الهنـد البريطانيـة الكومـودور السـير هـوم بوبهـام

في بعثة إلى البحر الأحمر لأجل إحياء التجارة والذي أستطاع أن يحقق نجاحًا تجاريًا جديدًا مع السلطان أحمد عبدالكريم سلطان لحج وعدن وتوقيع معاهدة تجارية حققت للبريطانيين امتيازات جديدة في المنطقة حيث وقعت هذه الاتفاقية بين كل من الماركيز وليسلي أحد أعضاء شورى الدولة والمكلف بأعمال ممالك بريطانيا في الهند بواسطة ممثله الأمير أحمد باصهيب لإقامة علاقة ودية ومعاملة تجارية بين الطرفين حيث أتفق الطرفان على[1]:

1 – تواصل التجارة بينهم.

2 – فتح ميناء عدن أمام البضائع المنقولة بالسفن البريطانية وحددت الضريبة الجمركية بنسبة 2 ٪ على ما هو مدون في البضائع نفسها.

3 – حق السلطان في زيادة نسبة الضرائب إلى 3 ٪ بعد عشر سنوات وهذا يسري أيضًا على البضائع الصادرة من عدن.

وهكذا استمرت المعاهدة في بنودها إلا أن أهم ما طرأ عليها من جديد يختلف عن سابقاتها من معاهدات هو الشرط الثالث عشر والذي نص على موافقة السلطان بإعطاء الدولة البريطانية أرضًا وبمساحة معينة (لم يُحدد الموقع والمساحة).

وبهذا حققت بريطانيا مكسبًا جديدًا وبدأت مسألة حصولها على موطئ قدم في المنطقة تدخل ضمن إطار سياستها واهتمامها واستمرت تلك البعثات البحرية البريطانية في سبيل تحقيق المزيد من المكاسب والامتيازات والتصدي لأية منافسة خارجية خاصة بعد ظهور محمد علي في

(1) أحمد عطية المصري: النجم الأحمر فوق اليمن،ط3،مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1988م،ص(47).

مصر ووصول قواته إلى اليمن وشبه الجزيرة العربية لمطاردة الوهابيين عام 1810م حيث شعر البريطانيون أن وجوده يمثل تهديدًا مباشرًا لمصالحها في المنطقة وبدأت بريطانيا تتطلع وبرغبة متزايدة إلى الاستيلاء على شواطئ جنوب اليمن لإيقاف تقدم جيوش مصر ولتحقيق أهدافها التجارية والتوسعية في المنطقة.

ومع استخدام البخار في المواصلات البحرية البريطانية أقدمت حكومة بومباي وبناء على تعليمات شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال سفينتين محملتين بالفحم في عام 1829م إلى ميناء عدن هما بناس وبالينورس لتستخدمه السفينة هيوج ولكن نتيجة لقلة الأيدي العاملة لشحن السفن في عدن تأخر شحن السفينة ولهذا استخدم البريطانيون مينائي المخا والمكلا كمحطتين لتزويد سفنها بالفحم.

إلا إن الاهتمام بعدن ظل مستمرًا من قبل البريطانيين، ففي عام 1835م وصل إلى عدن الكابتن هينس الذي كان مكلفًا للقيام بمسح للساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية وذلك من قبل حكومة الهند حيث إن هذا العمل واحد من الأعمال الأساسية التي مهدت بها بريطانيا لاحتلال عدن.

نستنتج مما سبق احتدام التنافس الدولي على عدن حيث أمسى الكل يعد خططه، ثم يحاول، حتى أذا ما فشل فكر بخطط بديلة يعيد الكره بها ويجرب حظه في الوصول إلى هذه البقعة من العالم ذات الموقع الاستراتيجي المهم.

الفصل الثاني

التغيير الأقتصادي والديمغرافي أثناء الاحتلال البريطاني

إن التنافس الاستعماري الدولي للسيطرة والتحكم بموقع عدن المهم اقتصاديًا وإستراتيجيًا دفع الإمبراطوريات الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا والمجر وهولندا) لمد أيديها إلى هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية الكبرى(اقتصاديًا وتجاريًا وعسكريًا) فكانت بريطانيا الاستعمارية السباقة في احتلال عدن عبر إتباعها جملة من الخطوات والأساليب الملتوية.

وعلى طريق التهيئة لاحتلال عدن عقدت بريطانيا في العام 1802م، مع سلطان لحج المالك حينها لميناء عدن أول اتفاقية تجارية، أصبح ميناء عدن بمقتضى تلك الاتفاقية مفتوحًا أمام الاتجار بالبضائع البريطانية، كما ضمنت بريطانيا بموجبها حماية خاصة لرعاياها وكذا سمح لهم بتأسيس وكالة تجارية بعدن، وتعد تلك الاتفاقية نقطة البداية للتدخل البريطاني المباشر في الشؤون الداخلية لعدن.[1]

ولم يدرك البريطانيون أهمية عدن الإستراتيجية إلا بعد أن امتد النفوذ المصري في شبه الجزيرة العربية، ويخشون قيام دولة قوية في تلك المنطقة تصبح خطرًا على مواصلاتهم في البحار الجنوبية فتهدد مصالحهم وتعوق نفوذهم المتزايد على امتدادها.

---

(1) سلطان عبدالعزيز المعمري: الندوة الوطنية التوثيقية للثورة اليمنية 14 أكتوبر، أعداد وتوثيق مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط 1، صنعاء 1993م، ص (40).

ففي الوقت الذي أخذت تبحث فيه عن مركز متوسط على طريقها البحري لتموين بواخرها بالفحم فلم تجد أصلح من عدن فاتخذت من الاعتداء على إحدى سفنها الغارقة حجه لاحتلالها فاحتلتها في يناير 1839م.[1]

وقد روج الكابتن هينس للعقيدة الدينية المسيحية ذلك أنه: (من خلال النفوذ البريطاني ربما انتشر نور الإنجيل بين أولاد إسماعيل وتمتد فضائل المدنية إلى الدروب التي كانت حتى الآن بعيده عنا وفي غير متناول أيدينا).[2]

الوضع الاقتصادي لمدينة عدن:

فرضت بريطانيا اقتصادًا تجاريًا خدميًا على مستعمرة عدن، فكانت تجارة الاستيراد وإعادة التصدير (الترانزيت) أساسًا لاقتصادها كما شكل اقتصاد الخدمات نسبة عالية من مجمل اقتصادها.[3]

قام اقتصاد مستعمرة عدن على استغلال موقع عدن الإستراتيجي من قبل المستعمر وقد تركز هذا الاستغلال على الميناء والتجارة والمصفاة فيما بعد.

وفيما يلي نستعرض أهم مقومات اقتصاد المستعمرة والتي قامت على:

1 - ميناء عدن

2 - يحيط بشبه جزيرة عدن عدد من الخلجان، يصلح بعضها مراسي للسفن اتخذها أهل المدينة موانئ تجارية، وشغلت هذه المراسي الجزء الجنوبي والشريط الساحلي الشمالي لشبه الجزيرة، أما الجزء الجنوبي

(1) حسين فوزي النجار: مرجع سبق ذكره، ص (40).

(2) هارولد ف. يعقوب. ك.س.آي: ملوك شبة الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، ط2،دار العودة، بيروت 1988م، ص (39).

(3) شفيقة عراسي السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها 1937 - 1945م، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر،، 2004م، ص215.

الشرقي مابين رأس (قطم) على جبل (المنصوري) ورأس (طي) فيتكون من ثلاثة خلجان استعملت كلها بين آن وآخر مراسي للسفن، أكبرها وأشهرها ميناء صيرة بين رأس قطم ورأس جبل صيرة نفسه أما الآخرين فهما: (بندر حقات) الذي يبدو أنه استعمل كمرسى مساعد يقع بين رأس (صيرة) ورأس (معاشق) وبندر (ضراس - أبو الوادي) الذي ذكر اسمه في حالات قليلة في كتب التاريخ، ويقع بين رأس ضراس ورأس (طي)، إلا أن صيرة هو أشهرها وأهمها وأكثرها ارتباطًا بتاريخ المدينة وشهرتها الاقتصادية.[1]

ويعد ميناء عدن من أهم المنافذ المتحكمة في البحر الأحمر من جهة الجنوب من ناحية، والمنفذ الوحيد لبلاد اليمن على بحر العرب والمحيط الهندي من ناحية أخرى، فلا غرابة في أن يكون ميناء عدن (عين اليمن) في نظر كثير من المؤرخين.[2]

يعتبر ميناء عدن من أهم الموانئ في العالم ويستقبل الميناء ما يعادل عشرين سفينة في كل يوم، كما إنه يقدم التسهيلات الضرورية والخدمات، والميناء في اتساع دائم وعدد السفن التي تستقبل في الميناء في ازدياد مطرد[3].

وقد كان الاهتمام بميناء عدن يزداد باستمرار على مر الزمن وكان يقصدها التجار من كل مكان ويستقرون بها حتى قيل إن أغلب سكانها إلى جانب اليمنيين كانوا من المصريين، والمغاربة، والأحباش، والفرس، ومن أهالي الساحل الشرقي في القارة الإفريقية.[4]

---

(1) عبدالله محيرز: ميناء عدن، مجلة المنارة، العدد الرابع، مايو 1989م،اتحاد الأدباء والكتاب فرع عدن، ص 36، 37.

(2) خالد باوزير:(ميناء عدن) دراسة تاريخية معاصرة، دار الثقافة العربية،ط1،الشارقة201م ص21.

(3) عبدالرحمن جرجرة: أرضنا الطيبة هذا الجنوب، المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، بدون سنه نشر، ص 178.

(4) فاروق عثمان أباظة: مرجع سبق ذكره،ص27.

وقد شد ميناء عدن انتباه الكابتن هينس، حيث أشار في تقريره الذي بعث به لحكومته في عام 1835م: (إن هذا المرفأ العظيم يمتلك من القدرات والإمكانات، ما لا يمتلكه ميناء آخر في الجزيرة العربية، وإن ازدهار ذلك المرفأ دون شك سيكون من شأنه أن يقضي على ميناء المخا وعلى بعض موانئ البحر الأحمر، فهو يحتل مركزًا تجاريًا ممتازًا ومن المؤكد أنه أنسب الموانئ الموجودة في المنطقة بالنسبة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البواخر وتموينها في كل فصول السنة).[1]

وقد سبق ذلك اهتمام أحد الرواد البريطانيين في مطلع القرن التاسع عشر وهو (اللورد فالنتيا) عند زيارته إلى عدن، واعتبرها في ذلك الوقت مثلها مثل جبل طارق جنوب أسبانيا، وأطلق على ميناء عدن (جبل طارق الشرق).

فبداية نمو وازدهار ميناء عدن كان عن طريق نشاط السواعي التي كانت تنقل البضائع بين ميناء عدن والصومال (بربرة) وقد ساعدت رغبة التجار بإنشاء مخازن في عدن لحفظ البضاعة في عام 1840م في بداية هذا النشاط ونموه، كما أن إعلان ميناء عدن ميناء حرًا عام 1850م ساعد بشكل كبير في ازدهار هذه التجارة وكانت معظم التجارة الإفريقية تمول وتمون وتنظم من عدن[2].

ونظرًا للتوسع البريطاني من عدن نحو الاتجاه البحري في المنطقة شهد ميناء عدن حركة في وصول ومغادرة السفن، ففي عام 1848م حتى 1849م

(1) فتحي أبو طالب: الصراع الدولي على عدن والدور المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 32، 33.

(2) ميناء عدن: نشرة شهرية تصدرها مصلحة الموانئ اليمنية الإدارة العامة للتسويق والإعلام ميناء عدن، العدد صفر ديسمبر 2005م، ص3.

بلغ عدد السفن التي مرت فيه (تسعا وسبعين سفينة بريطانية، وثمان سفن أمريكية وثلاث سفن فرنسية) ومن 1849م حتى 1850م (إحدى وسبعين سفينة بريطانية، وإحدى عشر سفينة أمريكية، وسفينتان فرنسيتان.[1]

وفي عام 1888م أصدرت حكومة بومباي قانونًا رقم (5) لعام 1888م أنشأت بموجبه أمانة للميناء بثمانية أعضاء، وفي أول إبريل 1889م تسلمت هذه الأمانة كافة الممتلكات المتعلقة بالميناء وبدأت إدارتها الفعلية له خارج سلطة المقيم السياسي.[2]

وأهم ما يميز الميناء موقعه الإستراتيجي في مجال التجارة الدولية خاصة بعد افتتاح قناة السويس 1869م، فعملت على تحسين بعض مرافقه الاقتصادية، كما أن التوسع في الإنتاج الصناعي في بريطانيا استلزم ضرورة فتح أسواق لهذا الإنتاج في المستعمرات البريطانية الآسيوية والإفريقية القريبة من عدن، وعندها زاد النشاط التجاري لميناء عدن حتى أصبح يستقبل في تلك الفترة حوالي ثمانية ملايين طن من البضائع في عام 1938م، أي أنه اصبح ينافس بعض الموانئ العالمية في تلك الفترة مثل (ملبورن) بأستراليا و(كيب تاون) بجنوب إفريقيا، لذلك قامت بريطانيا بفصل إدارة عدن عن حكومة بومباي منذ عام 1937م، وازدادت أهمية ميناء عدن الاقتصادية في نظر السياسة البريطانية، مع دفعها إلى أن تجعل من عدن مركزًا لنشاطها الاقتصادي والسياسي والعسكري في الشرق الأوسط وذلك عام 1957م بدلًا من البحرين وهي ما عرفت بإستراتيجية شرق السويس[3] وقد استقبل

(1) نجمي عبد المجيد: أهمية عدن في السياسة الدولية، صحيفة الأيام، العدد 4680، 5 يناير 2006م، ص11.

(2) عبدالله محيرز: مرجع سبق ذكره، ص38.

(3) عبدالله سعيد باحاج: ميناء عدن، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1، صنعاء، 1996م، ص58.

ميناء عـدن مجموعـة (8000) سـفينة مـن مختلـف الأنـواع[1].

ارتبطـت حيـاة عـدن وتطورهـا وازدهارهـا بالبحـر وبتدفـق الحركـة مـن البحر وإليه وتعيش المدينة على استقبال السفن التجارية المحملة بالبضائع القادمة من مختلف موانئ العالم، لتفريغ حمولتها في رصيف الميناء وتستقبل حمولـة قادمـة مـن داخـل البـلاد مـن مختلـف المنتجـات المحليـة أو لإعـادة التصديـر إلـى مناطـق أخـرى، أو أن ترسـو هـذه السـفن بغيـة التـزود بالتمويـن والوقـود أو لنقـل الـركاب إلـى المدينـة أو منهـا وفي كل هـذه العمليـات تحسـنت الحيـاة في المدينـة وتسـارعت حركـة التجـارة ومختلـف مجـالات الخدمـات.[2]

هـذا أدى إلـى اتسـاع الحركـة الاقتصاديـة في عـدن وبالتالـي أدى إلـى زيـادة عـدد السـكان وبالـذات القادميـن مـن الهنـد والصومـال وبعـض الـدول الأوروبية الذيـن جذبهـم النشـاط الاقتصـادي والاسـتقرار الأمني.

المصفاة:

بـدأت الحكومـة البريطانيـة في وضـع مخططاتهـا الإسـتراتيجية مـن أجـل بنـاء مصفـاة عـدن، بعـد إقـدام الدكتـور مصـدق رئيـس وزراء إيـران في عـام 1951م علـى تأميـم النفـط الإيرانـي والـذي شـمل مصالـح الشـركات البريطانيـة ومصفـاة عبـدان التـي تمثـل أهـم المصالـح لشـركة البـترول البريطانيـة، كان هـذا في حـد ذاتـه يشـكل خطـرًا علـى المصالـح البريطانيـة تجاريًـا وسياسـيًا وعسـكريًا، إذ أن بريطانيـا كغيرهـا مـن الـدول الاسـتعمارية آنـذاك كانـت تـرى في النفـط ومناطـق

(1) وزارة الإرشاد القومي والإعلام رقم (475/ 65)، خدمة صحافة الجنوب العربي، مركز الدراسات والبحوث اليمني - فرع عدن، 11 مارس 1965م، بدون صفحة..

(2) صالح احمد عيسى: الحركة العمالية ودورها في مسار تطور الحركة الوطنية في عدن 45 - 1963م رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عدن - كلية الآداب 2001م، ص 46.

النفط قوتها وقدرتها على السيطرة والتوسع التجاري والعسكري.[1] وتأسيسًا على ذلك شهدت مستعمرة عدن في شهر نوفمبر عام 1952م وصول مجموعة صغيرة من الرجال إلى البريقة بحرًا عبر خليج عدن لتقوم بعملية مسح لساحل المنطقة ولتلقي نظرة حول الجبال الواقعة خلف الرمال بعد ذلك استقرت هذه المجموعة لتعمل على بناء مصافي عدن بمبلغ وقدره (50.000.000 جنية)[2] وقد بنت هذه المصافي شركة البترول البريطانية (برتش بتروليم British Petrolieum) التي تعمل على استخراج البترول من منطقة الخليج العربي، أيضًا قام الإنكليز بمحاولات تنقيب عن المعادن والبترول من باطن الأرض، ففي عام 1938م أعطى حاكم عدن البريطاني شركة البترول البريطانية المحدودة (British Petroleum Concession Limited) فرع شركة بترول العراق امتيازًا للتنقيب عن البترول في كل مناطق المحميات الشرقية والغربية، وقد قامت شركة(بان أميركن أويل كومبني) بالتنقيب عن البترول، وقد أعطى لها حق البحث في 15 سبتمبر عام 1950م ولم تحصل على البترول.[3]

وقد وظفت شركة البترول البريطانية لبناء المصافي (250) موظفًا من بريطانيين وأمريكيين وفنيين وأوروبيين وعشرة آلاف موظف آخرين من عرب وهنود.[4]

---

(1) محمود علي عاطف: النفط في اليمن دراسة في جغرافية الطاقة، دار الثقافة العربية، ط1، الشارقة 2002م، ص227.

(2) نجمي عبدالمجيد: من إصدارات شركة البترول البريطانية (BP) عدن، صحيفة الأيام، العدد 4362، 23 ديسمبر 2004م، ص2.

(3) صادق عبده علي: الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن 1918 - 1967م، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط3،صنعاء 2004م، ص77.

(4) صحيفة القلم العدني: العدد 23، السنة الأولى، 3فبراير 1954م، ص10.

ولقد عرفت اليمن صناعة تكرير النفط منذ 1954م بعد أن حصلت على امتياز حاكم عدن البريطاني، وبأقل من عامين أنجزت شركة البترول البريطانية بناء المصفاة[1] في شبه جزيرة عدن الصغرى[2] وأصبحت جاهزة للعمل في 1954م بطاقة إنتاجية أولية تقدر بخمسة ملايين طن في السنة، تطورت فيما بعد إلى عدة مراحل لتصل طاقتها الإنتاجية إلى ثمانية ملايين طن من النفط المكرر في السنة[3].

وكان 27 أبريل1954م يومًا مهرجانيًا في عدن[4]هبطت فيه الملكة اليزابيث الثانية برفقة زوجها الأمير فيليب دوق أدنبرة، وقد زارا البريقة عبر ميناء عدن على ظهر زورق بخاري، ونزلا في ميناء الزيت وكان قد استقبلهما المستر أوجي ترانتر المدير العام السابق لمصافي (BP) وبمناسبة هذه الزيارة تم إطلاق اسم طريق المدخل الرئيس لعدن الصغرى (طريق الدوق) نسبة إلى دوق أدنبرة، وفي 29 يوليو عام 1954م افتتح المستر ترانتر المدير العام السابق للشركة والمستر إس. أو. إدي المصافي وذلك بضغط (الزر) وكان هذا الفعل بداية عمل المصافي في تصفية وتكرير البترول في عدن[5].

ولقد لعب الزيت منذ أيام الحرب دورًا بارزًا في تطور عدن وقد تعززت أهميتها كمركز للتموين بالزيت والوقود[6]. لذا كانت الحاجة مستمرة

(1) محمود علي عاطف: النفط في اليمن دراسة في جغرافية الطاقة، دار الثقافة العربية، ط1، الشارقة ص225.

(2) السير برنارد رايلي: عدن واليمن، وزارة المستعمرات، ترجمة حامد جامع، لندن 1960م، ص3.

(3) محمود علي عاطف: مرجع سبق ذكره، ص225.

(4) صلاح أغبري: قصة مصافي عدن، المنارة، العدد السادس، مايو 1990م، ص111.

(5) نجمي عبدالمجيد: من إصدارات شركة البترول البريطانية، الصحيفة السابقة، العدد 4362، 23 ديسمبر 2004م، ص2.

(6) جليان كنج: أهداف الاستعمار في عدن، تعريب وتعليق خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م، ص75.

وملحة ومتوسعة لزيت الوقود الذي يمون السفن في ميناء عدن من قبل شركة البترول البريطانية المحدودة لعدن بواسطة أنابيب طولها 30.4 كيلو متر، كما كانت المصفاة تنتج وقود السيارات والكيروسين ومنتجات نفطية أخرى للاستهلاك المحلي وللأسواق في شرق البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي والذي يتم تصديره من ميناء الزيت التابع للمصفاة[1]. فكان نصف الكمية المكررة عادة وقود للبواخر، والمنتجات غير المرغوب فيها تسوق في الميناء، إلا أن الوقود الثقيل رخيص في الغالب[2].

ونجد أن مصفاة البترول تشكل موردًا آخر مهم والحقيقة أن المرفأ والمصفاة مكملان ومتممان لبعضهما فلولا المرفأ لما استطاعت السفن أن تشتري بترول المصفاة، ولولا المصفاة لما توقفت السفن في عدن لأنها لا تنقل إليها بضائع تذكر ولا تحمل منها منتجات مهمة، وأثناء توقف السفن للتزود بالوقود ينزل بحارتها وركابها إلى البر ويتبضعون من المخازن فيشكلون مصدر سياحة دائم[3].

وأصبح عمال المصفاة إلى جانب عمال الميناء نواة الطبقة العاملة في عدن وبالتالي أصبحت نواة الحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن[4].

يعتبر إنشاء هذه المشاريع والخدمات ضرورة ملحة، لتلبية مصالح الاستعمار وإشباع رغبات القوات البريطانية عن طريق تقديم خدمات وتسهيلات لإقناعهم بضرورة البقاء في عدن[5].

---

(1) محمود علي عاطف: مرجع سبق ذكره، ص227.
(2) نبيل هادي: 17 ساعة تاريخية عند باب المندب، دار الفارابي، بيروت 1978م، ص198 - 199.
(3) عبدالحفيظ محمصاني: اتحاد عدن مع إمارات الجنوب العربي، دار العاصمة للطباعة والنشر، ط1، بيروت 1962م، ص20.
(4) شاكر الجوهري: الصراع في عدن، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 1992م، ص25.
(5) صادق عبده علي: مرجع سبق ذكره، ص78.

وبالتالي شهدت عدن موجة رخاء جديدة وزادت حركة النشاط التجاري والمعماري بها وكانت عامل جذب لجميع الأجناس من هنود وصومال وفرس وأوربيين، ويهود.

التغيُّر الديمغرافي والإحصاءات الرسمية للسكان في عدن:

كان هناك ميل أو مغالاة في التقدير لسكان المستعمرة عدن بسبب الأعداد الكبيرة للمقيمين[1]، وقد تحدث الكابتن هينس قائد الحملة البريطانية على عدن عن هذا الموضوع قائلًا بأن عدد سكان عدن يتراوح بين (500 – 600) نسمة من بينهم 180 يهوديًا و 30 هندوسيًا والبقية عرب وصوماليين[2].

لكن هذا الرأي ليس دقيقًا؛ لأن العرب كانوا أكثر مما قدر هينس والسبب في ذلك أن العرب الذين يفخرون بالذكور من أولادهم لم يقدموا العدد الصحيح لأولادهم من الإناث[3]. فضلاً عن ذلك لم يقدم أهالي عدن العدد الحقيقي لأبنائهم وبناتهم خوفًا عليهم أن يجندوا أو يؤخذوا كرهائن[4].

ولعل أبلغ دليل على ما ذهبنا إليه في هذا الصدد أن عدد السكان في عدن شهد تزايدًا ملحوظًا حيث بلغ عدد السكان في عدن في شهر سبتمبر من عام 1839م حوالي (2855) نسمة، معظمهم من الذكور، وكان عدد النساء بين

---

(1) Hunter, F. M, "An Account of British Settlement of Aden in Arabia" London, Frankcass and Company Limited 1968, P. 26.

(2) صحيفة القلم العدني: العدد 199، السنة السابعة، 12 أغسطس 1959م، ص9.

(3) نفس المصدر، العدد 300، 19 أغسطس 1959م، السنة السابعة، ص10.

(4) علوي عبدالله طاهر: عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار من عهد الزريعيين إلى عهد الاشتراكيين، (د. م)، 1997م، ص53.

أولئـك حـوالي (537) امرأة، وذلك عدا الجنود[1].

كانـت الأغلبيـة السـكانية هـي لأبنـاء عـدن بمـا فيهـم أقليـات أجنبيـة حتـى قبـل احتـلال عـدن مـن قبـل السـلطات البريطانيـة في 19 ينايـر 1839م، ومـن أهـم هـذه الأقليـات: اليهوديـة، والهنـدوس، والصومـال، والفـرس[2].

وبعـد عـام أي في 1840م بلـغ عـدد السـاكنين في عـدن حوالـي (4600) نسـمة[3]. وفي عـام 1841م بلـغ عـدد سـكان عـدن (8.246)[4] نسـمة، ثـم ازداد سـكان مدينـة عـدن في عـام 1842م، حيـث بلـغ عددهـم حوالـي (25.000)[5].

وعليـه كان مـن الطبيعـي أن يرتبـط الازديـاد السـكاني في المسـتعمرة بالتقـدم الاقتصـادي الـذي شـهدته عـدن ابتـداءً مـن عـام 1846م كنتيجـة لحاجتهـا لموظفيـن مؤهليـن وأكفـاء لشـغل المراكـز الاقتصاديـة المهمـة لا سـيما العمـال المهـرة مـن أبنـاء الهنـد.

ففـي عـام 1849م انخفـض السـكان العـرب إلـى أقـل مـن النصـف، بينمـا أزداد عـدد الهنـود أكثـر مـن ضعفيـن وأصبحـوا يكونـون 40 ٪ مـن سـكان المدينـة، وبعدهـم يـأتي العـرب، ثـم الجاليـات الصوماليـة واليهوديـة، حيـث كان

(1) هارولد يعقوب: ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، دار العودة، ط2، بيروت 1988م، ص47.

(2) عبدالرحمن خبارة: عدن الازدهار الصحافي والثقافي بعد الازدهار الاقتصادي، الندوة العلمية الأولى (عدن - ثغر اليمن) 5 - 17 مايو 1990م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ج1، 1990م، ص152.

(3) صحيفة القلم العدني: 19 أغسطس 1959م، العدد 300، 19 أغسطس 1959م، ص10.

(4) Gavin, R. J, Aden Under British Rule 1839 - 1967, Company London, G. Hurst and 1975. P. 445.

(5) هارولد يعقوب: مرجع سبق ذكره، ص47.

عدد الهنود (7605) نسمة، وعدد العرب (4845) نسمة، وعدد الصومال (2877) نسمة، وعدد اليهود (1150) نسمة[1].

بينما بلغ عدد أبناء اليمن في عدن عام 1849م حوالي (980) شخصًا فقط[2]. مما أكد ذلك حقيقة واقعية وهي أن سكان عدن كانوا يفتقرون إلى التجانس فلم يكن لدى هينس أدنى خوف من انتفاضاتهم الداخلية.

والواقع إن الرخاء الاقتصادي الذي أخذت تشهده مستعمرة عدن شكل عامل استقطاب لعديد من الفئات الاجتماعية القادمة من البلدان المجاورة أو بلدان منظومة دول الكومنولث، ولعل هذا ما دفع الكثير من العناصر الأجنبية في عدن للاستيطان فيها، كما سهلت لهم الحكومة البريطانية سُبل العيش في شكل أعمال تجارية ووظائف في الحكومة والشركات والبنوك[3].

إن ازدهار مدينة عدن باعتبارها مدينة تضم العديد من الجاليات والخليط المتنوع للأقوام قد جعلها مدينة متنوعة الثقافة والعادات بحكم تنوع سكانها عرقيًا ولغويًا ودينيًا[4].

إن التركيبة السكانية[5] المتعددة الأنماط والثقافات جعلت عدن آنذاك ملتقى الحضارات والشعوب[6] وفي إحصاء الأول من يناير 1856م بلغ

(1) avin, R. J. op. cit, P. 445.

(2) سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن (1839 – 1967م)، دار العودة، ط2، بيروت 1988م، ص17.

(3) قحطان محمد الشعبي: الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن، عدن والإمارات، دار النصر للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة 1962م، ص3.

(4) حمزة علي إبراهيم لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1990م، ص319.

(5) جاد طه: مرجع سبق ذكره، ص386.

(6) سمير عبدالرحمن هائل، عدن المدينة والحراك الثقافي، الندوة العلمية الأولى (عدن ثغر اليمن) 5 – 17 مايو 1990م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ج1، 1990م، ص103.

عـدد السـكان (20.654) نسـمة[1] علـى النحـو التالـي:

(1.129) نسمة مسيحيون، فضلًا على (2.557) نسمة من أبنـاء الجاليـة الهنديـة المعتنقين للمسيحية، و(4.812) نسمة من العــرب، (3.627) نسمة مسلمـون أفارقة، (58) نسمة مسلمون من جنسيات أخرى، (5.611) نسمة هندوك، (61) نسمة فرس، (1.224) نسمة يهودي، آخرون (1.659) نسمة[2].

ونستنتج مـن ذلـك أن كلًا مـن المسـلمين والمسـيحيين يعيشـون مع بعضهـم البعض بسـلام.

وفي عـام 1865م بلـغ عـدد سـكان عـدن مـع أفـراد الجيـش البريطـاني في المسـتعمرة حوالـي (20.738) نسـمة، وفي عـام 1866م بلـغ عددهـم حوالـي (20.654) نسـمة، لـم يدخـل أفـراد الجيـش في هـذا العـدد، وفي عـام 1872م أثنـاء فـترة حكـم المقيــم البريطـاني الجنـرال جـاي دبليـو شـنايدر والتي امتدت مـن (1872 – 1877م)[3] بلـغ عـدد سـكان عـدن حوالـي (19.289) نسـمة علـى النحـو التالـي[4]:

---

(1) التركيب: وهو مصطلح يشمل جميع الخصائص القابلة للقياس التي يتميز بها الناس الذين يتكون منهم السكان. (تقرير خاص بدراسة السكان من الوثائق الغير منشورة، مركز الدراسات والبحوث اليمني – فرع عدن، ص3، 11).

(2) السكان: يطلق مصطلح السكان (Population) للدلالة على العدد الكلي من الأشخاص المقيمين عادة أو الموجودين فعلًا وذلك حسب الأسلوب المستخدم في عددهم في منطقة معلومة في وقت معلوم. (صحيفة العامل: العدد 63، السنة الثانية، 24ديسمبر 1958م، ص9).

(3) نجمي عبدالمجيد: صور من ذاكرة التاريخ، صحيفة الأيام، العدد 4791، 18 مايو 2006م، ص5.

(4) Gavin, R. J. op. cit, P. 445.

الجنسية	عدد الأفراد
عرب	٨٢٤١
صومال	٥٣٤٦
يهود	١٤٣٥
هنود	٣٥٨٩
أوروبيون	٢٠٨
آخرون	٤٧٠
الإجمالي	١٩,٢٨٩

أما الباقون فكانوا من الترك والإيرانيين والمصريين والكرد والصينيين وبعض الأوروبيين وأمريكي واحد هو المستر وليم لوكرمان وكان يشتغل بالتجارة والذي عينته حكومة الولايات المتحدة عام 1879م قنصلًا فخريًا في عدن[1].

ويتضح من هذه التركيبة السكانية والاجتماعية في عدن أن كل أبناء الديانات الثلاث السماوية (اليهودية، والمسيحية، والإسلام) كانوا يعيشون بسلام فيها ولم يقتصر الأمر على أبناء الطوائف الدينية الثلاث وبل تعايش معهم أبناء الديانات الأخرى من الفرس عبدة النار والبوذيين وقلة من الكنفوشيوسيين وكان لسكان مختلف الطوائف معابدهم ومدارسهم ومقابرهم وملاعبهم[2].

ومن الجدير بالإشارة أن أبناء الجالية الهندية كانوا أكثر السكان الأجانب كثافة في عدن ويعود ذلك إلى ارتباط عدن بحكومة الهند وحصولهم على

(1) أنشئت القنصلية الأمريكية في عدن عام 1895م وكان القنصل الرسمي هو المستر ماسترسن.

(2) عبدالرحمن خبارة: نش ص14.

امتيازات وحقوق واسعة في مختلف مجالات الحياة: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية. وقد ساهمت تلك الامتيازات على تشجيع هجرة الهنود واستيطانهم في عدن[1].

ونجد أن الحماية البريطانية للجاليتين الهندية واليهودية تتماشى مع سياسة بريطانيا الاستعمارية الرامية إلى تثبيت الاحتلال بفتح باب الهجرة الأجنبية ليس لهاتين الجاليتين فحسب بل والصومالية والأوروبية والعربية وغيرها من الجاليات الآسيوية، وكان ذلك بهدف القيام بالمهام والوظائف الخدمية اللازمة لقوات الاحتلال والشركات الاستثمارية وإقصاء السكان العرب اليمنيين عن أهم هذه الوظائف.

وعلى الرغم من ذلك، تشير بعض الدراسات إلى أن التجانس بين عناصر المجتمع داخل مدينة عدن قد ترتب عليه اندماج العرب مع أهالي هذه البلاد ونتج عن ذلك أجناس ولغات وعادات جمعت كثيرًا من الصفات المشتركة بين العرب أهالي البلاد الأصليين وبين أبناء الجاليات الأجنبية الذين أصبحوا يتمتعون بالجنسية العدنية بمقتضى قانون الجنسية العدنية في عدن. وقد حدث ذلك الاندماج بطريقة سلمية دون اللجوء إلى أساليب القوة والعنف والاضطهاد[2]. مما يؤكد ذلك، أن عدم سن أحكام الهجرة خلق من عدن مجتمعًا مزيجًا[3]، وقد حددت العديد من المراجع بأن هدف الحكومة البريطانية من وراء تشجيعها الهجرة الأجنبية إلى عدن، تمثل في ذوبان القومية العربية وإيجاد خليط من السكان ذوي ميول مختلفة

(1) شفيقة عبدالله العراسي: مرجع سبق ذكره، ص29.
(2) صحيفة القلم العدني: العدد 298، السنة السابعة، 4أغسطس1959م، ص4.
(3) فاروق عثمان إباظه: مرجع سبق ذكره، ص33.

ومصالح متباينة يرتكز الاستعمار على بعضهم في الملمات نتيجة لما يحدثونه من تخلخل في صفوف الوطنيين من أبناء البلاد[1].

وكنتيجة لاختلاف الثقافات والأديان ضمت عدن عناصر سكانية عديدة، فهناك المسلم وهناك الكافر الوثني من الهندوك عبدة البقر، والهنود المسلمين، والفرس عبدة النار، والصومال، واليهود، والإنكليز[2] ليس هذا فحسب بل حددت تلك المراجع أهدافًا أخرى مثل: أن الحكومة البريطانية كانت تفضل أبناء الجاليات الأجنبية، لهذا كان عدد كبير منهم يتمتع بخيراتها[3] بحجة أنهم أكثر علمًا وأوسع ثقافة من أبناء عدن والحقيقة أن الحكومة البريطانية كانت تستطيع أن تطالبه في أي يوم أن يغادر البلاد إذا طالبها بإصلاح أو تقدم، ولن تستطيع أن تأمر أبناء عدن بمغادرة البلاد إذا طالبها بإصلاح أو تقدم لعدن[4].

وتأسيسًا على ذلك يمكننا القول بأن عدد السكان ازداد بصورة ملحوظة في عام 1881م، حيث ازداد عدد السكان إلى (30.000) نسمة[5]، وارتفع العدد في عام 1901م إلى (41.431) نسمة، ثم ارتفع في عام 1911م إلى (46.000) نسمة[6] ثم ارتفع سنة 1921م إلى (56.600) نسمة، ثم أصبح

(1) أحمد محمد زين السقاف: أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، ط1، الكويت 1956م، ص126.

(2) مقابلة شخصية مع عبدالله فاضل فارع، مستشار رئيس جامعة عدن، عدن، يونيو 2005م.

(3) عبده حسين سليمان الأدهل: الاستقلال الضائع، دار العهد للطباعة والنشر، ط2، 1993م، ص121.

(4) محمد علي لقمان: صحيفة فتاة الجزيرة، 7سبتمبر 1947م، العدد 387، السنة الثامنة، ص12.

(5) Tomecauoe reanerarau, Blu – ue, cg – in, 1992, P. 61

(6) صحيفة فتاة الجزيرة: 21مايو 1950م، العدد 522، السنة الحادية عشرة، ص2.

عدد السكان في عام 1931م (51.478) نسمة[1].

ويبدو أن الزيادة في عدد السكان مرده كون عدن أصبحت مدينة مفتوحة لجميع الأجناس، وتوافر الأعمال في عدن، أوجد هذا الخليط من مختلف الأجناس، إضافة إلى استقرار الأوضاع الأمنية وقدوم عدد من أبناء المناطق الداخلية من جنوب اليمن وشماله إلى عدن بحثًا عن فرص عمل.

وقد اتسم عام 1937م بأهمية كبيرة لمستعمرة عدن ومحمياتها، ففي هذا العام سلمت إدارة عدن والمناطق الداخلية منها إلى وزارة المستعمرات بعد قرن من الإدارة الهندية ظلت فيها أولًا تحت سيطرة جمعية بومباي التشريعية[2]، وقد قامت بريطانيا بدراسة موضوع تحويل تبعية عدن عن حكومة الهند بشكل فعلي، وذلك خلال الفترة 1933 - 1936م لوضع تصوراتها للمسؤوليات المستقبلية لعدن، وقد رأت بريطانيا أن مقترح فصل عدن عن حكومة الهند سوف يقابل باعتراضات مختلفة من السلطة التشريعية وأصحاب المصالح، ولكن الموقف اليمني في مجتمع عدن كان ما بين مؤيد ومعارض لقرار الفصل، فالمعارضون كانت وجهة نظرهم وخاصة التجار أنه سيترك أكثر من أثر سلبي على مصالحهم التجارية في الميناء وانعكاسه على المستوى المعيشي للمواطنين، بينما المؤيدون لقرار الفصل كانت وجهة نظرهم مختلفة، لأنهم توقعوا مكاسب سياسية لمجتمع عدن، وأرسلوا رسالة[3] إلى رايلي بتاريخ 23 نوفمبر 1933م يعبرون فيها عن تأييدهم لقرار الفصل، وأملهم أن تعمل الحكومة البريطانية على تحقيق مطالبهم.

---

(1) صحيفة فتاه الجزيرة: العدد 450، السنة التاسعة، 19ديسمبر 1948م، ص2.

(2) التنظيم الاستعماري في عدن: ترجمة أحمد عبدالله فدعق، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق يونيو 2004م، ص4.

(3) شفيقة العراسي: مرجع سبق ذكره، ص67 وما بعدها.

فتأكدت حكومة الهند البريطانية عام 1935م من قرب حصول الهند على الاستقلال فأنهت هذا الوضع وسعت إلى فصل عدن عن الهند[1]، وإلحاقها بوزارة المستعمرات بلندن 1937م، حيث أصبحت تدار مباشرة من لندن، وقد تقلد مسئولية رئاسة الإدارة البريطانية في عدن خلال هذه الفترة ميجر جنرال/ برنارد رايلي، الذي يؤمن النشاط التجاري لمدينة عدن إلى جانب مهمتها العسكرية كقاعدة تؤمن حراسة بوابة البحر الأحمر[2]، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أقبل الناس على عدن من كل جهة، فقد جاء العمال من اليمن والمحميات، وجاء التجار من الهند و(الخليج العربي)، وأصاب الكل رخاء وفير، فزاد عدد السكان زيادة كبيرة من (1931 - 1946م).

فبلغ عدد سكانها بحسب تعداد أكتوبر 1946م على النحو التالي:

العام	العرب	الأوروبيون	الهنود المسلمون	الفرس	الهندوك	اليهود	الصومال	مختلف الأجناس
١٩٤٦م	٥٨,٤٥٥	٣٦٦	٧,١٨١	٣١٥	١,٩٥٦	٧,٢٧٣	٤,٣٢٥	٦٤٥
الإجمالي								٨٠,٥١٦

وفي 7 فبراير 1955م[3]، حدث إحصاء سكاني في جو من الهدوء الشامل[4]، وقد شمل السكان حسب المنطقة والعمر والنوع وحسب الأصل وبلد المولد

(1) شفيقة العراسي: مرجع سبق ذكره، ص70.

(2) خالد سالم باوزير: مرجع سبق ذكره، ص175

(3) صحيفة فتاة الجزيرة: العدد 450،السنة التاسعة19 ديسمبر 1948م، ص2.

(4) صحيفة القلم العدني: العدد74، السنة الثانية، 9 فبراير 1955م، ص3.

والديانة ونوع المسكن والتعليم[1]، فبلغ عدد سكان عدن آنذاك كالتالي[2]:

العام	العرب	الصومال	اليهود	الهنود	الأوروبيون	الآخرون	المجموع
١٩٥٥م	١٠٣,٨٧٩	١٠,٦١١	٨٣١	١٥,٨١٧	٤,٤٨٤	٢,٦٠٨	١٣٨,٢٣٠

ويرجع أسباب ازدياد سكان عدن إلى:

1 - الازدهار التجاري لمرفأ عدن الذي يشكل مركزًا سياسيًا بالنسبة لتموين السفن ولتجارة الترانزيت.

2 - كثافة المبادلات بين مستعمرة عدن والمناطق الداخلية، فقد أصبحت شريانًا رئيسًا ومدينة ثقافية تجذب النخبة المثقفة داخل البلاد.

3 - إنشاء المصفاة في عدن الصغرى ووجود عدد كبير من المهندسين الأوروبيين والأمريكان الذين أشرفوا على أعمال الإنشاء وعلى تنظيم ألوف العمال العرب والهنود وغيرهم[3].

ومن الملاحظ أن عدد اليهود في عدن قد تدنى عام 1946، حيث كان عددهم (7273) نسمة إلى (831) نسمة عام 1955م، وهذا الانخفاض في عدد سكان اليهود في عدن كان مرجعه بالأساس الحرب الفلسطينية التي وقعت في عام 1948م، وقيام حكومة صهيونية في تلك الأرض العربية.

---

(1) حسين أحمد فرحان: سكان عدن أرقام ومؤشرات، 5 - 7 مايو1990م، الندوة العلمية الاولى (عدن ثغر اليمن)،ج2،دار جامعه عدن للطباعة والنشر، ص 375.

(2) علي صلاح الارضي: تاريخ التعليم في عدن 1839 - 1967م، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة عدن 1998م، ص36.

(3) محمد عمر الحبشي: اليمن الجنوبي سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، دار الطليعة، ط1، بيروت 1968م، ص167 - 168.

والجدير بالإشارة في هذا الصدد أن مستعمرة عدن كانت تستقبل في المدة ما بين (1953 – 1956م) حوالي (27.000) مهاجر سنويًا من شتى الأعراق[1]، وفي عام 1956م قدر عدد سكان عدن (150.000) نسمة[2]، وعلى الرغم من ذلك أخذت مسألة الهجرة تشهد توازنًا نسبيًا لاسيما في المدة (من أول يناير 1958م – 3 نوفمبر 1959م) عندما دخل المستعمرة عدن (196) إيطاليًا، و(25) يونانيًا، و(35) إثيوبيًا، وخرج من المستعمرة (140) إيطاليًا، (55) يونانيًا، (35) إثيوبيًا[3].ولعل هذه الأرقام خير دليل على ما ذهبنا إليه في هذا الصدد.

وفي عام 1963م ارتفع عدد السكان إلى (220.200) نسمة، وقد عملت سلطات الاحتلال في عدن على فتح باب الهجرة إلى عدن وسهلت لهم سبل العيش، ونتيجة لهذه الهجرات المستمرة أصبحت عدن ملتقى لكثير من الحضارات والشعوب.

ويتضح من ذلك أن هذه الهجرات جعلت من عدن وكأنها غير عربية وأصبح ابن البلد كأنه غريب في عقر داره، حتى أن العناصر الوطنية في عدن تنبهت إلى خطورة الهجرة الأجنبية وطالبت بإيقافها، وأمام هذا الضغط اضطر البريطانيون إلى إصدار قرار يقيد الهجرة الأجنبية إلى عدن، لكن هجرة الأجانب إلى عدن ازدادت بصورة كبيرة من تجار وموظفين غالبيتهم من الهند.

(1) أحلام يحيى محمد: التعليم في عدن 1937 – 1967م، رسالة ماجستير، جامعة ابن رشد، بغداد، كلية التربية، يونيو 2001م، ص5.
(2) صلاح البكري: اتحاد الجنوب العربي، (من دون دار نشر)، جدة 1965م، ص5.
(3) صحيفة فتاة الجزيرة: العدد 1224، 7 يناير 1960م، ص4.

وتأسيسًا على ذلك فان النمو الاقتصادي أدى إلى ازدياد السكان وبالتالي مثل أرضية مناسبة للمبشرين لكون اقتصاد المستعمرة عدن كان يتحكم به إخطبوط الشركات الأجنبية والمؤسسات المصرفية والمالية لذا نرى أن التبعية الاقتصادية كانت واضحة.

الفصل الثالث

دراسة للإرساليات وأصولها السياسية والدينية

أ - مفهوم التبشير:

التبشير يكون بالخير والشر[1] (وبشره) من البشرى وبابه نَصَر ودَخَل (وأبشره) أيضًا (وبشره تبشيرًا) ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾.[2]

(بشُر) بكذا (استبشر) به وبابه طَرُب (وبشرني) فلان بوجه حسن أي لقيني فلان وهو حسن البِشر أي طلق الوجه.

والبشارة المطلقة لا تكون إلا بخير وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به كقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[3]

وفي تاج العروس:

"التبشير: عبارة عن الخبر الذي يؤثر في البشرة تغيرًا، وهذا يكون للحزن أيضًا فوجب أن يكون اللفظ حقيقة في القسمين".[4]

وفي معجم مقاييس اللغة: "إذا أطلقت الكلمة كانت للخير وربما حمل عليه غيرة من الشر ويكون ذلك جنسًا من التبكيت" هذه معاني اللغة العربية لكلمة (تبشير) ولازال التبشير في المفهوم الإسلامي يطلق على الخير[5].

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1330 هـ، ص 287

(2) سورة فصلت، الآية (30).

(3) سورة الانشقاق، الآية (24).

(4) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، مراجعة إبراهيم السامرائي، عبدالستار أحمد فراج، ج 3، مطبعه حكومة الكويت، 1967م، ص (45).

(5) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مرجع سبق ذكره.

يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾[1].

وأيضًا يقول على لسان رسول الله وعبده عيسى ابن مريم عليه السلام وهو يبشر بمجيء رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2]

ب - مفهوم الإرساليات:

الإرساليات التبشيرية[3] تلك المؤسسات الأم في بث سموم التبشير في العالم الإسلامي بما تقوم به من بناء للمستشفيات والملاجئ والمدارس والكنائس مستخدمة من الطب والتعليم وسيلتين ناجحتين في الدعوة إلى النصرانية، سواء كانت تلك الدعوة صريحة أم خفية.

ويدير هذه الإرساليات قس قد ثبتت له الإمامة في الكفر، والرتبة العالية في الولاء للنصرانية، والحقد المقيت على الإسلام و أهله.

فضلًا عما يتيسر لهذه الإرساليات من أموال باهظة تأتيها عن طريق التبرعات الشخصية السخية التي ترسل من أثرياء أوروبا وملوكها، أو عن طريق الأموال المعتمدة لذلك والمتفق عليها.

(1) سورة الأحزاب، الآية (45 – 46).

(2) سورة الصف، الآية (6).

(3) إرسالية: رحلة ينظمها مجموعة من الأشخاص المتخصصين لهدف معين، بعثة دينيّة تقوم بالتبشير والدّعوة للمسيحيّة،أحمد مختار عمر(معجم اللغة العربية المعاصر) م2، ط1 عالم الكتب، القاهرة 2008م ص886.

إن المستر (كاري) أحد المبشرين في إرساليات التبشير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهو الذي فاق أسلافه في مهنة التبشير فدرس لغات اللاتينين واليونان والفرنسيين والهولنديين والعبرانيين، كما تعلم كثيرًا من العلوم وأخذ ينشر الكتب في التحريض على التبشير وقد قوبلت هذه الكتب بالاستحسان في أوربا وبدأ المتبرعون يقدمون له المساعدات المالية لدعمه في مهمته، وصارت الأموال ترسل إليه من اللجان التي أخذت في أوربا تجمع له المساعدات من المكتتبين في مشروعه، ثم طلب أن يرسل إليه رجال يؤازرونه في التبشير، ونجم عن ذلك تأسيس (جمعية لندن التبشيرية) في عام 1795م ثم تأسست جمعيات مماثلة في (اسكتلندا) وفي (نيويورك) وانتشرت هذه الفكرة في ألمانيا والدانمارك وهولندا والسويد والنرويج وسويسرا وغيرها.

وازداد الشغف في أوروبا بأعمال التبشير الهادفة إلى إخراج المسلمين عن دينهم، إلى أن تأسست إرساليات تبشير طبية على سبيل التجربة لتلحق بالإرساليات العامة[1].

كانت أول بعثة تبشيرية إلى شبه الجزيرة العربية في 30/ 6/ 1315م بإشراف ريموند لول (R. Lull) الذي تم رجمه بالحجارة حتى الموت خارج مدينة بوجيا بشمال أفريقيا (تونس حاليا). وكان لول أيضا المسيحي الوحيد في زمانه الذي استشعر مدى أهمية و ضرورة تنصير العالم الإسلامي. كانت محاججته الراسخة مع الفقهاء والعلماء المسلمين آنذاك بان الإسلام دين

(1) نادي درويش محمد درويش: الحركات المناوئة للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر ووسائل معالجتها (رسالة ماجستير)، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة الأزهر، مصر، 1996م ص (66 – 67).

زائف و حتميا سينتهي ذات يوم. و جراء إخلاصه وتفانيه ونقاء شخصيته التي امتزجت بجدية أخلاقية صارمة وبحياته رومانسية المنزع - استطاع لول أن يجذب البعض إلى اعتناق المسيحية. و كان هدفه الرئيس يتمثل في إسقاط السلطة الإسلامية كنظام من خلال تفنيد و توضيح ما يظن أنها مثالب للإسلام بصورة منطقية إلا إنه أخفق تماما في ذلك. كانت له أطروحتان دينيتان غاية في الإثارة و التشويق، أحداهما موسومة بـ "الفن العظيم" (Arts Major) التي لن تقنع أي مسلم في أيامنا هذه أكثر مما قد فعلته في القرن الرابع عشر للميلاد. و سيظل حماسه الذي لا يعرف الكلل مثالا و إلهامًا لكل بعثات التبشير في العالم الإسلامي. إلا انه قد سبق عصره، ولم يكن عصره جديرًا به.

و لم يتم العمل التبشيري في بلاد العرب بعد لول إلا بعد أن ظهر هنري مارتن (Henry Martyn) الذي يعتبر أول المبشرين المسيحيين المحدثين في العالم الإسلامي. وتضمنت سيرة حياة هذين المبشرين كل ما كتب عن الأعمال التبشيرية في العالم الإسلامي منذ عام 622م حتى عام 1812م، ولم يكن هناك إلا ما ندر من أعمال تبشيرية قامت بها الكنيسة التي فقدت حتى مجرد الإحساس بالمسؤولية تجاه الرب والملايين الذين كانوا يتخبطون في الظلمات بحثا عن نبي زائف[1].

وفي عام 1855م تألفت جمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية وقد لعبت هذه الجمعية دورًا مهمًا في تبشير المسلمين على الخصوص ثم تبع ذلك تأسيس جمعيات التبشير في كل بلاد البروتستانت.

وفي عام 1902م تأسست (جمعية تبشير الشبان) ومهمتها استمالة النساء

---

(1) S. M. Zwemer, Arabia: The Cradle of Islam, Edinburgh and London, Oliphant Anderson and Ferrier, pp.314 - 315.

والشبان والطلبة إلى استماع صوت المبشرين.

وبعد نهاية المرحلة الاستكشافية الأولى كانت عدن هي أولى المدن اليمنية التي استقبلت العمل التبشيري عام 1848م، حيث بدأت الهيئة الأمريكية للإرساليات الأجنبية عملها في المنطقة.

وتم افتتاح أول مدرسة تنصيرية في عدن عام 1856م، أي بعد الاحتلال بسبعة عشر عامًا بناء على اقتراح المستشرق الإنكليزي (جي. ب. يدجر) وفقًا لأهداف تبشيرية.

وقام المنصر سترن برحلة تبشيرية عام 1856م إلى صنعاء وبغداد وأجزاء أخرى من بلاد العرب وهو يحمل الكتاب المقدس معه، وفي عام 1884م قام المنصر (وليام ليثالي) من إنكلترا ليبدأ حملة تبشيرية في المدينة، ثم تبعته إرسالية (أيان كيث فولكانر) من كنسية أسكتلندا الحرة التي بدأت عملها التبشيري في عدن عام 1885م، وكذلك الدكتور يونج التابع لبعثة كيث فالكونر في عدن حاول القيام برحلة داخلية إلى صنعاء عن طريق الحديدة إلا أن الأتراك منعوه وأجبروه على مغادره الحديدة.

التعاون الفعال بين الإرساليات البروتستانتية:

منذ احتلال عدن وحتى قبيل عام 1864م لم تكن هناك كنائس بروتستانتية في عدن إذ كانت تمارس بعض الطقوس البروتستانتية في أماكن يمكن تسميتها بمآو مقدسة مصنوعة من رواسم خشبية اعتمدها الأسقف المطران (هاردنج) (Harding) الذي كان يعتني بها ويترأسها ، وكانت هذه المآوي بديلًا عن الكنائس بل هي بداية لتشيد الكنائس[1].

---

(1) The Arabian mission fieldreports Quarterly letters ، neglecied arabia arabiacalling، volumei fleldreports ،nos – 1 – 26 ، 1892 – 1898، nos. 27 – 4p, 1892 – 1901

فنجد الإرسالية العربية عام 1885م، ولكي تكسب ثقة الإرساليات الأخرى ادعت بأن هدفها هو العمل التنصيري بين المسلمين في الجزيرة العربية كما أنها أبدت استعدادًا للتعاون مع الإرساليات الأخرى.

حيث توقف المنصر (جيمس كانتين) في أدنبره في السادس عشر من أكتوبر عام 1889م، وهو في طريقه إلى المنطقة ليضع أسس التعاون مع إرسالية (كيث فولكانر) في عدن وبعد وصوله المنطقة قامت الإرسالية العربية بالاتصال بإرسالية كيث فولكانر للتعاون وتقديم المساعدة، والواقع أن هذه الإرسالية قدمت للمبشرين الأمريكيين مساعدات قيمة، وأهم هذه المساعدات ما يتعلق بتقديم المعلومات عن أحوال المنطقة وخاصة الجغرافية والاجتماعية والدينية[1].

إن التسامح الديني الذي أظهره سكان عدن مع جميع الطوائف والسماح لهم بإقامة الاحتفالات الدينية لهذه الطوائف ولم يعترضوا على بناء المعابد والكنائس في المدينة ولم يدخلوا في صراع مع أي من الطوائف لأسباب عقائدية أو دينية، بل تعايشوا مع كل الطوائف بسلام جنبًا إلى جنب.

فإلى جانب مساجد المسلمين ظهرت في عدن معابد لمختلف الطوائف والأديان وعدد من الكنائس للطوائف المسيحية المختلفة التابعة لبعض الجمعيات التبشيرية المسيحية الأوروبية ومن تلك الجمعيات:

1 – جمعية كيث فالكونر التبشيرية Keith Falconer Missionary Society:

كان مركزها الرئيسي في أسكتلندا وفي مدينة (أبردين) تحديدًا وهي غير كاثوليكية بل بروتستانتية، وهي على خلاف مع الكنيسة الإنكليزية وهي أقدم حركة تبشيرية في عدن.

(1) R.J.Gavin،pp.276 – 277.

كان مؤسس البعثة التبشيرية في عدن الأسكتلندي ايون جرانت نيفيلل كيث – فالكونر (Ion Grant Neville Keith – Falconer) المنحدر من أسرة عريقة، إذ كان والده يحمل لقب ايرل (Earl) و أمه كانت كونتيسة (Countess) لمدينة كينتور (Kintore) في بلدة ابيردين (Aberdeenshire) التي كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي. ولد فالكونر في أدنبره في الخامس من شهر يوليو عام 1856م. و بعد أن نجح في دراسته في مدرسة هارو التحق بكلية الثالوث المقدس بجامعة كامبريدج عام 1874م، وفي شهر مايو من العام التالي انخرط بكل قواه في مجال التبشير ضمن مجموعة تعمل في لندن و ما حولها، و بعد تخرجه بتفوق عين أستاذاً للغتين العربية و العبرية في نفس الجامعة، وقد ترجم كيث – فالكونر كتاب كليلة و دمنة للفيلسوف بيدبا من السريانية إلى الإنكليزية.

اختار كيث – فالكونر عدن لمزاولة مهمة التبشير بعد أن قرأ مقالة كتبها الجنرال هيج، فقام بزيارته إلى لندن. وقد حث هيج الجمعية التبشيرية الكنسية على تأسيس بعثة في عدن، خاصة بعد أن وردت التقارير بأن الأطفال الذين كانوا يداومون في البعثة الكاثوليكية سرعان ما يعودون إلى الإسلام بمجرد مغادرتهم البعثة. وفي نوفمبر من عام 1885م، زار كيث – فالكونر عدن في جولة استطلاعية دامت ستة أشهر. و في 18/ 11/ 1885م أرسل إلى أمه مكتوبا نقتطف منه التالي:

«لقد كنت أدرس العربية لعدة ساعات في اليوم على يد فقيه محلي كان يتردد على يوميا لإعطائي دروسا مختلفة. و مع ذلك، إني لا أشك فيما إذا كان بمقدور أي إنسان أن يغادر هذا المكان(عدن) في نهاية المطاف دون أن يكون الإنهاك قد لحق بكل قواه ؛ إذ لا تخلو هذه المدينة من نواقص تعيق

وتعيب أي عمل تبشيري ، ذلك لأن مناخها يوهن الأجساد و القوى؛ كما إنه لا يوجد على مقربة منها مرتفع يتيح لأفراد البعثة التبشيرية فسحة الترويح عن النفس من ناحية و لاستقطاب أفراد من المحليين من ناحية أخرى. بيد أنه مع مرور الوقت من المحتمل أن تقوم السلطات بضبط سيطرتها على مكان مناسب للقيام بمثل تلك الأعمال. إن العلاقات بين الانجليز و القبائل المحيطة بعدن ستصبح مرضية بشكل أفضل و ستتحسن أكثر مع انصرام الزمن».

سكن كيث - فالكونر وزوجته جويندولين بيفان (Gwendolen Bevan) في البداية في منزل بالقرب من العقبة المطلة على مدينة كريتر. و قام بتوزيع نسخا من الكتاب المقدس في المدينة، و كان يقرأه على الناس من النسخة العربية بغية إشهاره، ومن ثم انتقل إلى الشيخ عثمان التي كانت تتمتع بتوافر الآبار والجو اللطيف، و حيث كان يسهل الاتصال بالمناطق الداخلية عبر قوافل الجمال.

و في مستهل شهر نوفمبر من عام 1886م عاد كيث - فالكونر و زوجته إلى عدن للعيش بصورة نهائية بعد أن نال ثقة و دعم الكنيسة الحرة في تأسيس ملجأ للأيتام بمساعدة الطبيب ستيوارت كوروين. ولتحقيق ذلك عاشوا في إحدى البيوت المحاطة بحديقة مسورة بالشيخ عثمان. و بمحاذاة هذا البيت كان هناك كوخ اتخذه كوروين عيادة يستقبل فيها مرضاه[1].

و لم يكن كيث - فالكونر يطمح في تعلم و اكتساب اللغة العربية الفصحى فحسب بل كان أيضًا يرنو إلى إجادة لهجاتها. وقد سافر إلى مصر عام 1881م بغية توسيع معارفه في كل من لغات و لهجات وعادات وتقاليد شعوب العالم الإسلامي.

---

(1) Wikipedia، the Free Encyclopedia.

تمثلت القناعة الأولى في أن يستهل عمله التبشيري من خلال إقامة مشروع طبي جديد من نوعه ينبغي أن يشكل الجزء الأكثر بروزا في مسار تحقيقه لهدفه و بما يمكنه من مد بواسطته يد العون للطبيب القائم على هذا المشروع ولو في أضيق الحدود. و تجسدت القناعة الأخرى في أن ينطلق في تحقيق مشروعه التبشيري من خلال بناء مدرسة عملا بإحدى التوصيات التي أعطيت له كتابيا مفادها: «إذا أردت أن تكسب الناس إلى صفك، قم بإنشاء المدارس، و فتش عن الصغار الذين هم معقد الرجاء أكثر من الكبار البالغين».

كان كيث - فالكونر يأمل في بناء مدرسة، فقرر اختيار المكان المناسب لها، و لم يكن المكان مدينة عدن بل الشيخ عثمان التي تم فيها بناء المدرسة و منها بدأ عمل بعثته التبشيرية الجديدة.

يشير أول تقرير تبشيري كتبه كيث فالكونر إلى ما كان يدور في خلده عن التبشير في عدن وإلى الأسباب وراء اختيار الشيخ عثمان، و ليس عدن، مركزًا لذاك التبشير و نقطة انطلاق للتوسع باتجاه الداخل. كذلك يشير التقرير إلى الوسائل التي صاغها ثم تبناها في عملية التنصير. وفي ما يلي مقتطفات من هذا التقرير الجديرة بالاهتمام:

«تتألف التركيبة السكانية لمدينة عدن من العرب، و كلهم مسلمون معظمهم سنيون شافعيون، الأفارقة معظمهم - إن لم يكن كلهم - من الصومال المسلمين الشافعيين، اليهود ، الهنود معظمهم مسلمون والبقية من الديانة الهندوكية. وقليل من أصول فارسية (Persians) وقلة من البرتغاليين الذين جاءوا من (جوا). و في عام 1872 م كان كل خمسة من العرب يقابلهم نحو ثلاثة أو أربعة من الصومال ؛ و قيل لي أنهم أصبحوا متساوين من حيث العدد. و يشكل العرب و الصومال مجتمعين الغالبية العظمى لسكان

عدن، حيث يشكلون أربعة أخماس السكان. وكان عدد اليهود 1435 نسمة، ثم ارتفع إلى أكثر من ألفين. وكان عدد الأوربيين بمن فيهم أفراد الحامية و أتباع المعسكر حوالي 3500. و كان مناخ عدن، مقارنة بالمناخ المداري، صحي بصورة غير عادية. و أكد لي الطبيب الجراح ذلك».

وكان كيث – فالكونر قد عقد العزم كذلك على أنه بدلا من العمل بصفته الشخصية وبصورة مستقلة، ينبغي أن يتم إضفاء الطابع الرسمي لعمله من خلال الاعتراف به من قبل الكنيسة الحرة كي يصبح مبعوثها الشرفي. و كان في قراره نفسه أن يجعل مباني البعثة بعد بنائها تؤول إلى ملكية الكنيسة التي كان من أفرادها.[1]

وبعد عودته إلى بريطانيا ألقى كيث – فالكونر خطابًا أمام المجمع الكنسي المنعقد عام 1886م حينما تم الاعتراف مسبقا بالبعثة الجديدة. وعاد كيث – فالكونر ثانية إلى عدن في ديسمبر من نفس العام و بصحبته طبيب يتلقى مرتبه منه شخصيا.

وفي 22/ 2/ 1887م، كتب كيث – فالكونر تقريرا مقتضبا حول أصابته بالملاريا التي أسماها «حمى عدن»، قائلا:

«لم أكن طيلة حياتي أكثر تعاسة و نكدا مما أنا عليه الآن بعد أن هاجمتني هذه الحمى... و كان خادمنا قد انتابته هذه الحالة إلا أنها كانت مصحوبة بقشعريرة....ولم تكن أقراص الكينا (Quinine) مفيدة تماما للتخلص من هذه الحمى، و مع ذلك، كان لزاما بكل بساطة على المصاب بها أن يتجرعها».

---

(1) S. M. Zwemer، Arabia: Ibide.. 331 – 343.

وتكررت نوبة الملاريا عند كيث - فالكونر مما جعله يعبر عن ذلك بمرارة اشد وكأنه أصيب بها لأول وهلة قائلا:

«إن نوبة الحمى هذه المرة قد عاودتني و استطال أمدها مما جعل زوجتي تبدو وكأنها قد أصيبت بها فعانينا سويا أيما معاناة..... فالمرض قد شتت جهودنا و جعلها خبط عشواء.... لقد أضناني تكرار المرض. وطيلة اثني عشر أسبوعا مضنيا، خيل لي أن عودتي في نهاية المطاف لا خير فيها وعديمة النفع).[1]

وعلى أثر تلك النوبات المتكررة من مرض الملاريا التي لم يجد لها علاجا ناجحًا في عدن، وفي مايو 1887م مات كيث - فالكونر هناك عن عمر يناهز الثلاثين. و ألهمت مسيرة حياة كيث فالكونر عشرة آلاف شخص أن تسرع بصورة روحية في التفكير في العمل بالبلاد الأجنبية و باحتياجاتها. و«رغم الرحيل، فإنه يبقى حيا» وسيظل حيا حتى تتنصر كل بلاد العرب. وكل بعثة تبشيرية لاحقة إلى شبه الجزيرة العربية وكل من يواليهم من أصدقاء البعثة ممن يطلعون على مسيرة فالكونر سوف يقرون بمدى صوابية النقش المتواضع المحفور على قبره في عدن، والذي يقول:

«إلى الذكرى الغالية لايون كيث فالكونر المحترم الابن الثالث لأب كان يحمل لقب إيرل وأم تحمل لقب كونتيسة لمدينة كينتور.. إليه و قد آثر الخلود إلى السكينة الأبدية. دفن في مدينة الشيخ عثمان في 11 مايو عام 1887م عن عمر ناهز الثلاثين».

وبعد عشر سنوات من وفاته، تم بناء كنيسة تذكارية له، و دفن في مقبرة خليج حقات. وأما المدرسة والمستشفى في الشيخ عثمان التابعتان للبعثة

---

(1) H. K. Robertson، British – Yemeni Society، Nov. 1995.

الأسكتلندية فقد استمرتا في مواصلة مهامهما حتى استقلال اليمن الجنوبي عام 1967م.

كان القس المبجل دبليو جاردنر (W. Gardiner) قد عين مشرفا طبيا إلى جانب الدكتور باترسون (Patterson). و كان كيث فالكونر أثناء بحثه عن زميل يسافر معه إلى عدن قد سعى إلى الالتقاء بجاردنر الذي افتتح مدرسة استمرت في أداء مهامها عدة سنوات ولغاية عام 1904م عندما تقرر أن تتحمل البعثة الدانمركية، التي باشرت عملها في عدن آنذاك المهام التعليمية، بينما تكرس البعثة الأسكتلندية جهودها في الجانب الطبي.

كان الكثير من أطباء البعثة قد حققوا نجاحات على الصعيد الطبي، رغم أن المناخ العام السائد وقتذاك قد تسبب لهم في خسائر فادحة، كان الطبيب منهم لا يمكث في الخدمة طويلا أما بسبب مرضه أو موته أو عدم قدرته على العيش في مثل ذلك المناخ، إلا أنه مع الوقت وبعد الإلمام بالمعارف الصحية و التوعية بالحفاظ على الصحة و العناية بها في المناطق الاستوائية أخذت الأمور تسير إلى التحسن. ويعتبر الدكتور جيه سي يونج (J.C. Young) الأول من حيث طول مدة خدمته عين يونج عام 1892م و ظل مستمرا في العمل حتى عام 1926م.

وفي العقد الثاني من القرن العشرين، سببت الحرب العالمية الأولى انقطاعا مفاجئا ومثيرا في مجرى الأحداث العادية. وقام الأتراك بصورة غير متوقعة بمهاجمة الشيخ عثمان و سيطروا عليها.

واستخفتهم الحمية فاستولوا على كل شيء في ذلك المستشفى الجديد الذي تم افتتاحه قبل الحرب بسنوات قليلة. ودار معظم القتال بين الأتراك و البريطانيين من حول دارة (bungalow) الدكتور يونج التي حملت جدرانها

آثار الكثير من الطلقات. وفي الفترة الأخيرة من الحرب تحولت المدينة إلى معسكر حربي، وتوقف بالضرورة النشاط التبشيري.

ويفيدنا التقرير السنوي لعام 1923م بأنه قد تم إلغاء قرار عام 1904م بشأن المهام الطبية التي أوكلت للبعثة الدانمركية، وبأنه تم افتتاح مدرسة الأمر الذي أوحى بوجود عودة إلى تحقيق فكرة وهدف كيث - فالكونر بوجوب قيام البعثة بأداء المهام الطبية و التعليمية معا.

اعتبرت الشيخ عثمان ليس مجرد مركز مناسب لنشاط البعثة فحسب، بل أيضًا كانت بمثابة رأس حربة لتوسع هذا النشاط نحو المناطق الداخلية. فعند مطلع القرن العشرين، كان هناك تخوف من الفشل إذا ما تم تكرار محاولة الوصول إلى صنعاء، بيد أن الوضع قد تغير تماما في عام 1937م، عندما وجه الإمام وزير خارجيته دعوة للبعثة عبر الدكتور باتري (Patrie) بالسماح لها بدخول صنعاء والعمل والبقاء فيها على نفقة البعثة الخاصة. كذلك كانت هناك دعوة متكررة تم تسليمها للبعثة بشأن إرسال طبيب «متدين وورع» لمعالجة المرضى في بيحان التي تقع في أقصى المناطق. قبلت هذه الدعوة في نهاية الأمر.

في عام 1952م، تم تأسيس بعثة طبية جديدة هناك التي أوكلت للبعثة الدانمركية وتم افتتاح مدرسة، كذلك كانت هناك أمور أخرى شجعت على تطوير العمل التبشيري تمثل أحداها - وفقا للتقرير السنوي لعام 1946م - في تكليف مجلس البعثة تحمل مسؤولية تدريب الممرضين و المعالجين المتنقلين من الشباب على مستوى المحمية وعلى نفقة الحكومة. وكان هؤلاء الشباب يتلقون تدريبهم في مستشفى الشيخ عثمان ومن ثم يعودون إلى مناطقهم وذويهم لمزاولة أعمالهم في مستوصفات

متواضعة يتفقدها أطباء البعثة بصورة دورية. وأفضى عمل ما يقرب من عشر سنوات تحت رعاية البعثة بأن حقق المشروع الكثير من الإنجازات ليس فقط على صعيد تخفيف حدة الأمراض والمعاناة، بل أيضًا تأسيس تسعة عشر مستوصفا تابعا له توزعت على مسافات تتراوح ما بين 60 إلى 200 ميل من عدن ؛ هذا بالإضافة إلى بث وتوطيد روح المودة و حسن النية تجاهاً العمل المسيحي و البعثات المسيحية. وكان من رواد تدريب الممرضين و المعالجين المتجولين كل من الدكتور نابير(Napier) و حرمه ومعهما ممرضتان: الآنسة بين (Bain) و الآنسة كاووي (Cowie). وفي فترة لاحقة تم نقل مركز التدريب إلى مستشفى الليوي بخورمكسر. وبالنسبة للدكاترة برنارد والكر (Bernard Walker)، وأحمد عفارة و ريموند سميث (Raymond Smith) فقد كانوا آخر أطباء البعثة والذين شاركوا في ذلك العمل الذي آل إلى إشراف الحكومة في عام 1956م.[1]

وحتى أبين التي تندر فيها الأمطار وتستفيد بشكل كبير جدا من السيول، فقد كانت أراضيها في أربعينات القرن العشرين غير منتجة وتفتقر للخصوبة، والحياة فيها محفوفة بالمخاطر وغير صحية، وأهل أبين الذين كانوا يفلتون من غيلة رصاصات وطعنات القتلة المأجورين بسبب الثارات، يقعون فريسة الملاريا التي لا ترحم، وكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار. و بحلول عام 1953م و من خلال اتباع نظام إداري سليم، تم حل مشكلة الثأر، وعبر سن و تطبيق قانون التنمية و الخدمات الاجتماعية من قبل وزارة المستعمرات في لندن تمت السيطرة على مرض الملاريا. و هذا العمل الأخير كان جزء من مهام الخدمات الطبية في محمية عدن قامت بتنفيذه

Wikipedia.. Ibide. (1)

بعثة كيث - فالكونر بعدن.

و جرى بناء مستشفى الشيخ عثمان في منتصف القرن العشرين، قرية على بعد 400 ميلا من الشيخ عثمان وما من قرية إلا وسمعت عن هذا المستشفى. والعديد من المرضى يأتون إليه قاطعين مسافات طويلة سيرا على أقدامهم، وفي بعض الأحيان كانوا يسافرون مدة تتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة أسابيع كي يصلوا إلى المستشفى، إلا أن الكثير منهم يصلون متأخرين جدا. ورغم تكرار أخبار صعوبات الطريق و مشاقه، و هناك الكثير من الأخطار في الطرق غير الآمنة. و في بعض الأحيان كان هناك لصوص و معاناة دائمة، و لا ظل يحمي من هجير الشمس نهارا أو مأوى يقي من قسوة البرد ليلا. و قد تمر سنتان أو ثلاث أو خمس و أحيانًا عشر يعاني و يتألم فيها المريض قبل أن يتحامل على نفسه بقطع الطريق الطويل المحفوف بالمخاطر للوصول إلى المستشفى[1].

كان المستشفى يتسع لحوالي ثمانين سريرا، وفي العادة لم يكن هنالك سرير شاغر، و إذا جاء أحد المرضى من أقاصي البلاد لا يجد سريرا خاليا، فيقوم طاقم المستشفى بإعطائه فراشا لينام في الأرض. و تركز نصف مهام المستشفى تقريبا في إجراء بعض العمليات الجراحية المتمثلة في استخراج حصى المثانة، و الفتق، و المرارة، و تجبير العظام، ومداواة بعض عمليات المياه الزرقاء في العيون، وانحراف الأهداب، وأمراض النساء. و تعامل المستشفى كذلك مع الكثير من المشكلات على اختلافها. و على الصعيد الطبي العام كانت هناك حالات من سوء التغذية الحادة، و الدسنتاريا و الملاريا، و السل، و الغدد، و العظام، و التقرحات الجلدية و

---

(1) H. K. Robertson. Ibide.

قرحة المعدة، والبلهارسيا، ونقص الفيتامينات، والتهاب الرئة (النامونيا)، والعرج، والأمراض التناسلية، و غيرها الكثير من العلل مما هو شائع و نادر على السواء.

وكان تعاقب الأطباء و الممرضات يسير باضطراد لعدة سنين. فمن عام 1893 إلى عام 1926م أنشأ وأدار القس المبجل الدكتور يونج المستشفى بمهارة و جدارة وعناية دقيقة للغاية. ثم أعقبه الدكتور بيتراي الذي عمل لمدة عشرين عاما في عدن و اليمن معا، و كان يحظى بتقدير و إعجاب شديدين من قبل الناس و الحكومتين في البلدين. و في عام 1936م انتدبت الكنيسة الاسكتلندية كل من الدكتورة بات بيتراي (Pat Petrie) و الآنسة كاووي لخدمة إمام اليمن في مستشفاه بصنعاء.

وبذل كل من فرقة الشباب وفريق الكشافة قصارى جهودهم و بكل بسالة في اختيار الدكتورين عفارة وسميث، وفي استبدال المعدات القديمة لغرفة العمليات الجراحية واستحداثها بطقم جديد يتواكب مع المتغيرات الجارية حينذاك وشمل ذلك الأدوات الجراحية والتعقيم، والإضاءات الخافتة منها والشديدة كالأباجورات والمصابيح المتنوعة، ولأول مرة تم تدشين غرفة ومعمل للأشعة السينية وتجهيزها تماما بكل لوازمها، وكذلك تم تجهيز المستشفى بأثاث ضرورية في بداية الخمسينات. وافتتحت عيادات خارجية كبيرة و واسعة تستقبل المرضى غير المقيمين أربعة أيام في الأسبوع، و خصص يومان للرجال وآخران للنساء والأطفال، وربما ما يربو على مائة مريض كان يرتاد المستشفى في تلك الفترتين. وخصص يوم الثلاثاء بشكل أساسي للعمليات الجراحية الكبرى و الصغرى. وإذا ما تم عقد مقارنة بين العمليات الجراحية الكبرى و تلك الصغرى التي تتم في المستشفى لكان

بإمكان المرء القول بكل اطمئنان أنه كان يتم إجراء من ست إلى ثمان عمليات كبرى و ست عمليات صغرى كل ثلاثاء. و خصص يوم الجمعة لتلك العمليات المرتبطة بأمراض العيون، مثل إزالة المياه الزرقاء من العيون، وعمليات القزحية والقرنية، وانحراف الأهداب وحدقة العين و بعض الأورام و تقريبا كل ما اتصل بأمراض العيون. و بالطبع كان المستشفى يتلقى حالات الطوارئ كلما استدعت الحاجة إليها. وكان عدد مهول من المرضى الفقراء الذين يعانون من نقص التغذية يفدون إلى المستشفى وهم يعانون من التقرحات الجلدية المؤلمة للغاية.

والأمراض المعدية سرعان ما تنتشر فعندما تحدث جروح أو رضوض في الأجسام الواهية التي تصيبها العدوى تتوسع فتصبح قروحا تنتشر على نطاق واسع و مخيف وبما يكفي لأن يصدم أي شخص عادي متحضر. و يحتاج المرضى من هذا النوع إلى تغذية كاملة وسليمة لمدة شهرين أو ثلاثة لاسترداد عافيتهم قبل خروجهم من المستشفى وعودتهم إلى منازلهم أصحاء.

وعبر فترة زمنية طويلة كان يقوم أطباء البعثة بتفقد اليهود في كريتر والعناية بهم. وأصبح ذلك تقليدا حظي بقبول وترحاب من الجانبين.

نستنتج من ذلك: أن البعثة قد ارتبطت بالسلطة الاستعمارية ارتباطا وثيقا إلا أنها حظيت عادة بكرم ومودة في نفوس الاسكتلنديين، ومن خلال خوض غمار العديد من محن التقلبات المناخية وأحيانا الأمراض الفتاكة، تم دعم وتشجيع البعثة من قبل سكان جنوب شبه الجزيرة العربية، كما تم مؤازرتها وتعزيزها عند كل منعرج ومنعطف من قبل السلطات المدنية والعسكرية العربية والبريطانية على السواء.

لقد بدأت هذه الجمعية نشاطها بفتح عيادة طبية بالقرب من محطة البترول حاليًا وكانت مخصصة لعلاج الجنود الإنكليز.

وانتقلت العيادة فيما بعد إلى مبنى آخر في الشيخ الدويل وصارت تعرف بمستشفى عفارة نسبة إلى كبير الممرضين فيها، والذي كان قد تنصرودخل المسيحية، وهو ما أدى إلى بناء كنيسة صغيرة وعيادة خارجية لتقديم الخدمة للجمهور وللتقليل من وصمة التنصير.

وبعد الحرب العالمية الثانية توسع نشاط الإرسالية فلم يعد مقصورًا على المستشفى بل قامت بإنشاء نادي الأولاد في الشيخ عثمان في الموقع الذي فيه الآن المجمع الصحي في الشيخ عثمان، وكان الغرض من بناء النادي هو التخفيف من وطأة التنصير الذي نفر منه السكان، ولم تكتف بذلك بل شرعت بإنشاء نادٍ رياضي عرف بنادي عفارة، ومقره حيث يوجد نادي الوحدة الرياضي حاليًا، والهدف من ذلك هو اجتذاب الشباب[1].

وفيه جميع الألعاب من شطرنج وملاكمة وغيرها من الألعاب، وفي نفس الوقت كانت توجد مكتبة مسيحية يوزعون فيها الكتب المرغبة في دياناتهم، فكانوا يعطون الكتب على سبيل الإعارة لأي عضو في النادي من اليمنيين فهذه الكتب كانت بمثابة تشويق.

معظم الممرضين الذين كانوا بالمستشفى نصروهم وأعطوهم بيوت في فناء المستشفى،منهم: علي عبده، ودرهم، عادل عولقي، عبدالله عولقي، وأحمد سعيد عفارة وأخوه عبدالله سعيد عفارة، وهناك امرأة كردستانية اسمها ميري كانت موظفة بالكنيسة تم إعطاؤها بيتًا مع الآخرين في فناء المستشفى[2].

(1) علوي عبدالله طاهر: مرجع سبق ذكره، ص (22).
(2) مقابلة مع أحمد طاهر مقبل: المنصورة، عدن، 16 / 2 / 2010 م.

غير أن علماء الدين كانوا قد شنوا هجومًا على الإرسالية لنشاطها التبشيري لذلك عملت الإرسالية لاسترضاء السكان بدعمها لأنشطة الشباب واجتذابهم، فقامت بتقديم عروض سينمائية وشكلت فرقة موسيقية وغيرها من النشاطات.

وعلى الرغم من النشاط التبشيري الواضح لهذه الجمعية التبشيرية وتعرضها لهجوم كبير من قبل بعض علماء الدين إلا أنها ظلت تمارس دورها في تقديم الخدمات الإنسانية حتى يوم الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م، وتعايش الناس مع القائمين عليها ولم يتعرض أي منهم للأذى مما يدل على شيوع ثقافة التسامح في المجتمع وليس ثقافة الكراهية.

2 - الجمعية التبشيرية الكاثوليكية:

وكان يسمى المسؤول عن هذه الكنيسة (القاصد/ المعلم) أو المبعوث أو المدبر الرسولي، الذي كان يتمتع بنفس المؤهلات التي يتمتع بها الأساقفة ماعدا رسامة الكهنة.

وفي عام 1855م تم تسليم رئاسة البعثة الكاثوليكية إلى جماعة الفرنسيس أي أتباع القديس فرنسيس الأسيسي (Saint Francis of Assisi) التي تأسست عام 1212م، وكان يعرف أعضاؤها ب(الآباء ذوي القلنسوات) أو الكبوشين (Capuchins).

وكان لهذه الكنيسة هيكل في كريتر تم بناؤه عام 1852م كما بني آخر بالتواهي عام 1860م، وكانت في هذه الأديرة راهبات يعرفن بـ (أخوات الراعي الصالح) جئن إلى عدن عام 1868م.

وكان كوجلان (Coghlan) والي عدن عام 1856م قد تحصل على موافقة رسمية من الحكومة البريطانية بإنشاء مدرسة رسمية في المستوطنة

وذلك باقتراح من بادجر (P. Badger) أول معلم نظامي على النمط الحديث في عدن الذي كان حينها قسيسًا لعدن.

وبخلاف إرسالية كيث فالكونر فإن الكنيسة الكاثوليكية بعدن عملت على بناء مدرستين في التواهي سميت بمدرستي (سانت أنطوني) وكانت المدرستان واحدة للبنات والأخرى للبنين، وكان من أبرز مدرسي مدرسة البنين الأستاذ إبراهيم نورجي وهو يمني لم يتنصر، ولما كانت مدرستا التواهي قد حققتا بعض النجاح في التعليم فإن الخوف من التبشير قد تضاءل وهو ما شجع الأهالي لإلحاق أولادهم فيها وصارت المدرستان تعرفان باسم مدرسة (البادري)[1] في التواهي وكريتر وقد درس في هاتين المدرستين أعداد كبيرة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون جنبًا إلى جنب مع اليهود والهنود والهندوس والصومال وغيرهم.

وعلى الرغم من نجاح الإرسالية في الجانب التعليمي إلا أن ذلك لم يحل دون ممارسة نشاطها التبشيري، فقد قامت ببناء كنستين ملحقتين بالمدرستين وهما:

أ- كنيسة القديس أنتوني: شيدت الكنيسة في العام 1839م وهي أقدم كنيسة في عدن وتقع في مدينة التواهي في البنجسار وترتبط بها مدرسة تحمل الاسم نفسه، وكان طول هيكل هذه الكنيسة وعرضه (96و52) قدمًا على التوالي وكانت تتسع لحوالي (350) مصليًا.

وبعد الاستقلال انفصلت المدرسة عن الكنيسة وضمت إلى الدولة وأصبحت مدرسة حكومية، ولم تمس الكنيسة ولازالت تحتفظ بمقتنياتها الخاصة وتفتح الكنيسة أبوابها كل يوم أحد حتى يستطيع المسيحيون

(1) كلمة البادري وهي كلمة ايطالية - بادريه وتعني الأب وهو لقب الراهب في الكنيسة...

الموجودون في عدن الذين يبلغ عددهم نحو (200) مسيحي بمن فيهم مسيحيو البعثات الطبية ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية ودون تدخل الجهات الحكومية[1]، وهي الكنيسة الرئيسة التي كانت تتبعها كنائس الجزيرة العربية الأربع: واحدة في عمان وأخرى في الكويت وثالثة في البحرين ورابعة في الإمارات حيث عاش فيها سبعة من (البي شوب) (Pi – shop) كان كل منهم يمثل بابا الفاتيكان في منطقة الشرق الأوسط وتتبعه جميع الكنائس التي يزورها بين الحين والآخر ويعين لها القسس أما الآن فهي تتبع كنيسة الكويت التي يقيم فيها الـ(arch pi – shop)سفير البابا في المنطقة.

ب – كنيسة القديس جوزيف: شيدت الكنيسة من قبل الكاردينال (ماسيجا) في أكتوبر من العام 1845م وتقع في منطقة كريتر بعدن وكانت ترتبط بها مدرسة تحمل الاسم نفسه، وكان هناك عناصر عرب يأتون إلى الكنيسة يوم الأحد للصلاة وكان المدرسون فيها هنودًا ومسيحيين، وكان فيها يومي السبت والأحد نشاط رياضي، وهي مدرسة كاثوليكية، وكان يرمز لها بالرمز (R C M) أي رومان كاثوليك، وكان هناك مدرسة للبنات فيها الراهبات اللاتي كن يستلمن الأطفال اللقطاء ويربينهم ويسمينهم أي اسم عربي، وعندما يكبرون يتم تنصيرهم[2].

ونستنتج من ذلك: أن النشاط التبشيري لهاتين الكنيستين كان قد فشل في إقناع السكان المحليين بالدخول في المسيحية، لذا فإن نشاطها التبشيري قد اتجه نحو الجاليات الأجنبية وتحديدًا الصومالية والهندية وغيرها.

(1) F.M.HunterAn Account of the British Settlement of Aden in Arabia London: Thomas Nelson Ltd.pp.147 – 148.

(2) مقابلة مع أحمد طاهر مقبل: عدن، 16 / 2/ 2010م.

إن أفراد القوات البريطانية في عدن لم يكونوا كاثوليك بل بروتستانت وهو ما أضعف نشاط الإرسالية إلى حد كبير، غير أن نشاطها أخذ يستقطب عمال وموظفي بعض الشركات الأجنبية من القادمين من بلاد الشام وبالذات شركتي (سي سي) و(ماذركات) لكون هاتين الشركتين تضم أعدادًا غفيرة من المسيحيين اللبنانيين الكاثوليك، والذين انخرط بعضهم في الأندية الرياضية.

وكانت الإرسالية تستفيد من مدارس البادري لغرض نشر المذهب الكاثوليكي بين الطلاب، إلا أنها أخفقت في ذلك لقوة نفوذ التيار الإسلامي في عدن، ولكنها نجحت بعض الشيء في التأثير على بعضهم، كما بنت الكنيسة روضة للأطفال في التواهي تابعة للكنيسة.

3 - الجمعية الدانماركية التبشيرية Danish Missionary Society:

وهذه هي الإرسالية الأوروبية الوحيدة في عدن فقد نشطت نشاطًا متميزًا في الجانب الثقافي، فقد بدأت نشاطها في عدن في مستهل الخمسينات من القرن العشرين وقد أسست كنيسة هي:

كنيسة حبرون: كان فيها الراهب الدانماركي ترن هلان[1] وكان القداس فيها كل يوم أحد[2]،وكان محمد حسين بيحاني (الصياد) يبشر فيها ويدعو إلى النصرانية، وكانوا يعطون الأطفال الحلويات ويعرضون عليهم أفلام عن المسيحية لاستقطابهم وتبشيريهم بالمسيحية[3] وكان مقرها في كريتر

(1) مقابلة مع سالم عاشور: عامل في مكتبة الإرسالية الدانماركية وصاحب اتصالات عاشور مقر المكتبة السابق كريتر - عدن، 13 نوفمبر 2010م.

(2) مقابلة مع سعيد محمد أنعم: أحد الزوار الدائمين للكنيسة، الشيخ عثمان - عدن 19 سبتمبر 2010م.

(3) مقابلة سعيد أحمد أغبري: مدير البنك الأهلي سابقًا واحد السكان المجاورين لكنيسة حبرون، كريتر - عدن 9 أكتوبر 2010م.

في الخليج الأمامي حيث مقر المجلس الثقافي البريطاني ثم أصبح مقرًا للحقوقيين وحاليًا منزل ثابت عبد،وكان لهذه الكنيسة مركز ثقافي بحارة الشريف بكريتر، وكان الدافع لتأسيس هذه الجمعية في عدن هو خدمة البحارة الدانماركيين.

4 – الجمعية البرستبرية الأولى للتبشير:

كانت هذه الإرسالية قد بنت كنيسة باسمها في التواهي بالقرب من الجسر، لغرض التمويه على المسيحيين من البحارة غير الموالين للكنيسة البروتستنتية وكان معظم روادها من البحارة وأبرز نجاح لها هو افتتاحها (نادي الجوانيز) نسبة إلى (جوا) في الهند والتي كانت مستعمرة برتغالية معظم سكانها من المسيحيين، ولهم جالية في عدن، وكان مقر (نادي الجوانيز) يقع بجوار فندق الإمباسادور بالتواهي وتحديدًا بالجهة اليمنى منه.

- إرسالية الكنيسة الإنكليزية:

وهي تابعة للكنيسة الإنكليزية في إنكلترا، ولأنها رسمية لم تمارس نشاطًا تبشيريًا بصورة مباشرة، بل أتت إلى عدن لخدمة الإنكليز أنفسهم، وبنت لها كنيسة خاصة في جبل هيل عرفت بكنيسة (التل) وكان مقرها حيث منزل علي عنتر حاليًا، كما بنت روضة في جبل هيل خاصة بأطفال الإنكليز، وهي ملحقة بالكنيسة، وكان الغرض من بناء الكنيسة الإنكليزية بعدن هو حماية أفراد القوات البريطانية الإنكليزيين من تأثير الكنيسة الكاثوليكية.

- الإرسالية البروتستانتية اللوثرية:

كان مركزها الرئيسي في مدينة بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية وجاءت إلى عدن في مطلع الستينات وتحديدًا في أواخر عام 1960م.

كانت لديها إمكانيات كبيرة، فافتتحت مكتبة في التواهي، وهي المكتبة الوحيدة التي كانت تتبع صحيفة (الجيوش كرونيكل) والتي تصدر في إسرائيل، وهي صحيفة يومية، كانت تصل تباعًا إلى عدن بالطائرة.

وافتتحت الإرسالية كنيسة في خورمكسر، مخصصة لأفراد وضباط سلاح الجو الملكي البريطاني المرابط فيما عرف الآن بمعسكر بدر، وكان هذا المعسكر في الوقت نفسه مقرًا لقيادة القوات البريطانية للشرق الاوسط.

وافتتحت الإرسالية في المعسكر روضة لأطفال الجنود البريطانيين، أما أطفال الضباط فقد كانت لهم روضة أخرى بنتها لهم القوات البريطانية[1].

- إرسالية الكنيسة الأسكوتلندية:

أنشأت لها كنسية في المعلا في حافون عام 1963م، لكنها لم تلبث غير عشر سنوات ففي عام 1973م قامت الحكومة اليمنية حينها بالاستيلاء على الكنيسة ومنزل القديس (البادري) وحولوهما إلى دار الفنون الجميلة وقد سرق كل ما فيها ومنها الصندوق السري المصنوع من الذهب أما التحف الرخامية التي كانت فيها فقد كسرت حتى الأسلاك الكهربائية أحرقت، لقد كلف ترميم الكنيسة أكثر من 80,000 ألف دولار. وتوجد مقبرة للمسيحيين ملاصقة للكنيسة.

وبنت مدرسة بجوار نادي الصومال في المعلا، وتكمن أهمية هذه الإرسالية في كون معظم المبشرين فيها من رجال الدين الإنكليز الذين فيهم من يجيد اللغة العربية، وقد دخل بعض رجالاتها في مناظرة علنية مع كل من الشيخ محمد بن سالم البيحاني، والشيخ علي محمد باحميش وهما من علماء الدين الإسلامي البارزين في عدن.

(1) علوي عبدالله طاهر: مرجع سبق ذكره، ص (26).

كما دخلت في جدال مع أتباع الجماعة الأحمدية، وربما كانت هي الكنيسة الوحيدة التي دخلت في حوار جاد مع علماء الدين المسلمين، وبسبب تطرقها لعقيدة المسلمين ومحاولتها الإساءة إلى الإسلام، فقد وقعت بعض المشادات التي أسفرت عن اشتباكات بين أفراد الكنيسة وبعض السكان المحليين مما اضطر السلطات البريطانية إلى كبح جماح الإرسالية وإيقافها.

- كنيسة القديسة ماريا (مريم): وتقع في كريتر بمدينة عدن على التل المقابل لمجمع البنوك وقد تم تشيدها في السابع من شهر نوفمبر من عام 1871م برعاية القسيس دوجلاس (Douglas)، وكان تركيب وحجم هذه الكنيسة كالتالي:

1 - صحن الكنيسة = 44×30 قدم.

2 - جناحي الكنيسة = 15×30 قدم.

3 - هيكل الكنيسة = 14×22 قدم.

4 - صفوف (مجلس) الكنيسة = 7.5×11 قدم

وهناك مقاعد تتسع لحوالي ثلاثمائة شخص.[1]

وكانت هي وكنيسة القديس أنتوني تُخدمان وترعيان من قبل قسيس تقوم الحكومة بتعيينه ودفع مرتباته ، وكان يقام القداس في كل يوم أحد في كلتيهما، وأحيانًا كانت تقام بعض القُدَّاسات والطقوس في أيام أخرى وفي المناسبات والإجازات، وفي حالة غياب القسيس كانت تتلى القراءات من قبل ضباط الحامية.

---

(1) F.M.Hunter,pp.147 - 148.

وفي نهاية الخمسينات من القرن الماضي تحولت إلى مجلس تشريعي وبعد الاستقلال تحولت متحفًا للشرطة ثم إلى مقر للغرفة التجارية ثم إلى المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف وحاليًا مقر التكنيك الجنائي.

- كنيسة رأس مربط: وتقع في منطقة البنجسار بمدينة التواهي، وقد أنشأت الملكة فيكتوريا هذه الكنيسة عام 1863م، وكلف بناؤها ألفي جنية إسترليني في ذلك الوقت.

وكانت دارًا لعبادة المسيحيين البروتستانت الإنجليكانيين من رعايا المملكة المتحدة من بريطانيين، وفلبينيين، وباكستانيين، وكنديين[1] يقيمون صلاتهم يوم الجمعة حتى جلاء البريطانيين من عدن عام 1967م حيث

تحولت إلى نادٍ للبحارة وظلت الكنيسة مغلقة إلى ما بعد الوحدة اليمنية ففي العام 1993م وبتوجيه من رئيس الجمهورية حينها تم إعادة الأملاك الكنسية إلى الكنيسة وبدأ العمل في ترميمها لكن المواد والمعدات سرقت أثناء حرب الانفصال عام 1994م وفي عام 1995م أعيد ترميمها من جديد، وافتتحت رسميًا عام 1997م. وفتحت معها عيادات خيرية من قسمين، القسم العام للعائلات من سكان فتح والبنجسار، وقسم العيون لجميع سكان اليمن، وهذه الكنيسة تابعة إداريًا للمدير في قبرص المطران مايكل.[2]

(1) مقابلة مع منصور يوسف المدراسي: المدير المالي والإداري للكنيسة، مقر الكنيسة في البنجسار - التواهي 2 فبراير 2010م

(2) مقابلة مع ناجل دوكنز: قس الكنيسة ومدير العيادة من العام 2009م، في مقر الكنيسة في البنجسار - التواهي في 2 أغسطس 2010م.

- كنيسة صلاح الدين: وهذه الكنيسة في منطقة صلاح الدين في البريقة بناها البريطانيون الكاثوليك في البريقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان يوجد بها جرس مطلي بالنحاس وفيها ساعة تسمى بج بن تم إزالتهما قريبًا، وشكل الكنيسة من الداخل أشبه بالسينما وبجانب الكنيسة كان يوجد نادٍ للبريطانيين أصبح حاليًا مسجدًا للمنطقة[1] وكانت الصلاة في الكنيسة يوم الأحد وكان يصلي فيها الجنود البريطانيين من المعسكر الذي بجانب الكنيسة وكان هناك (المغوي)الذي يقوم بإغواء الناس ويوزع لهم الإنجيل بغرض تنصيرهم[2]. هذه الكنيسة لازالت قائمة إلى يومنا هذا ولكنها أصبحت بيتًا لأحد اليمنيين.

ونستدل من كل ما سبق أن ثقافة التسامح مع الأديان الأخرى كانت هي السائدة في أوساط العدنيين فانعكس على سلوكهم فقد تعايشوا بسلام مع مخالفيهم في الدين وتبادلوا معهم المصالح والمنافع.

---

(1) مقابلة مع محمد سالم القاضي: أحد الساكنين بجانب الكنيسة، منطقة صلاح الدين - البريقة، 20 يونيو 2010م.

(2) مقابلة مع عبدالله العنسي: وهو من يقوم بمد المعسكر بالمواد الغذائية والخضار والفاكهة، صلاح الدين - البريقة، 25 يونيو 2010م.

الفصل الرابع

أهداف التبشير ووسائله ونتائجه

يبذل المبشرون جهدًا غير عادي في نشر أفكار الاستعمار وفي خدمة ساسته وذلك مقابل العون المادي والمعنوي الذي لا ينقطع، فهناك أغراض للمبشرين في ظاهرها التمسح بالمسيحية والدعوة إليها ولكنها في باطنها تروج لأهداف المستعمرين والمستغلين وأصبح واضحًا للعيان استغلال الغرب للتبشير المسيحي باستخدامه كوسيلة لفرض السيطرة الاستعمارية من ناحية، ولتغريب المفاهيم في عالم الإسلام من ناحية أخرى ويمكن تلخيص أهداف التبشير في العالم الإسلامي فيما يلي:

1 - أهداف دينية:

أ – محاولة تشويه الإسلام:

خطة التبشير قائمة على أساس محاربة الدين الإسلامي، وذلك بالطعن في القرآن الكريم، والافتراء على النبي محمد ﷺ ثم طرح الشبهات والمغالطات حول القضايا الإسلامية الكبرى وفي مقدمتها الجهاد في الإسلام والمرأة من وجهة النظر الإسلامية، ولقد تمكنوا من إثارة الشكوك في كثير من النفوس، نظرًا لأن كثيرًا من المسلمين لم يدركوا فهم تعاليم دينهم لوجود الأمية الدينية، وقلة الرسائل الفعالة لمحو تلك الأمية[1].

---

(1) محمد زين محمد الطشو،عادل محمد محمد درويش: التنصير بين الماضي والحاضر وكيفية مواجهته، ط 1، القاهرة 2010م، ص (90 – 94).

ب - إفساد أخلاق المسلمين:

إنها محاولة لتدمير الأخلاق الإسلامية التي بعث خاتم النبيين ﷺ لإتمامها حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فهم يثيرون الاتجاه الغريزي في نفوس المسلمين في صورة حرب معلنة على المسلمين و لا عاصم منها إلا من عصم الله.

ج - اصطناع العداء بين النصرانية والإسلام:

إن الإسلام في جوهره لا يعادي (دعوة المسيح الحقة) التي أوحى الله تعاليمها إلى نبيه عيسى عليه السلام ولكن المبشرين يصطنعون صراعًا بين الرسالتين ويتكلفون أن يقيموا عداء بين المسلمين والمسيحيين. وكانوا يشعلون نار العداء كلما أحسوا بخمودها، وكان الأليق أن ينظروا إلى نقاط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية ويعمقوا الصلة بين أتباع الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وبين أتباع النبي عيسى عليه السلام[1].

2 - أهداف استعمارية:

كان الهدف التبشيري ديني في أول الأمر وهو نشر المسيحية ولكن المبشرين دأبوا على تحويله أو دمجه مع غيره من الأهداف السياسية والاستعمارية وعند تعادل الكفتان نراهم يرجحون كفة الأهداف الاستعمارية على كفة نشر المسيحية كرسالة سماوية يعتقدون بها.

- احتواء حكام المسلمين بالالتفاف حولهم:

وهو هدف استعماري يمهد له المبشرون السبل بما يتاح لهم من إمكانيات وبما يملكون من وسائل، وبما لهم من خبرة، ومن أجل صنع

(1) عادل محمد محمد درويش: مرجع سبق ذكره ص (105).

القادة كما يشاء الاستعمار التف حولهم المبشرون و أحاطوهم بالرعاية، فكانوا بأعين التبشير يرون وعلى عصاه يتكئون وهذا نوع من التدخل السياسي الغربي لمصالح أمم الغرب على حساب أمة الإسلام.

3 - أهداف سياسية:

- القضاء على وحدة المسلمين:

فالهدف الأول للمبشرين تفتيت وحدة المسلمين وتوهين قواهم، وذلك باختلاق ما يؤدي إلى التفرقة بينهم، واختلال صفوفهم لدرء خطر تجمعهم وتآلفهم وسلك المبشرون طريق تفريق المسلمين والقضاء على وحدتهم قولًا وعملًا.

ويقوم مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان وهيئات أخرى بالإشراف والتوجيه والدعم المالي لكافة الأنشطة التنصيرية وإقامة مراكز وأبحاث علمية يعمل بها نخبة من الباحثين والمؤهلين مثل:مركز بحوث تابع للفاتيكان - المركز المسيحي في نيروبي - مركز المعلومات المسيحي في نيجيريا - مركز البحوث التابع لمجلس الكنائس العالمي.

وسائل التبشير:

تنوعت وسائل المبشرين للوصول لأغراضهم وتحقيق أهدافهم فلم يقفوا عند أسلوب بعينه، وإنما استخدموا كل الأساليب المتاحة، وهم دائمًا في طريق التجديد وفي خدمة دولهم ، فهم في نفس الوقت الذي يعملون فيه لنشر المسيحية، ويوجهون جهودهم لخدمة مصالح الدول التي ابتعتهم، فهم سخرة للدول الاستعمارية وأداة لتحقيق المآرب السياسية وهذه وسائلهم إجمالاً:

1 - فتح المدارس:

اتخذ المبشرون التعليم وسيلة من قديم الزمان، وكانت الخطة بناء مدرسة مسيحية، وبحجة توسيع المدرسة يتم شراء ما حولها من أرض، أو مساكن بأي وسيلة، ويقام سور كبير حول المدرسة والأرض المشتراة، وفي فناء المدرسة تشيد الكنيسة، فيجد التلميذ المدرسة تلاصق الكنيسة، فيتعود على رؤية هذا المنظر، وتنطبع في ذهنه هذه الصورة وإن لم يذهب لتأدية الشعائر فيها مجاملة لأساتذته المسيحيين.

ولما أراد المبشرون أن يجعلوا التعليم قاصرًا على التبشير فقط، من غير أن يطلعوا على سر ذلك أحدًا، اشترطوا أن يكون المعلم أجنبيًا، أما إذا دعت الحاجة إلى معلم من أبناء البلد فليكن مسيحيًا من الدرجة الأولى متمرنًا على التبشير. وكان للإرساليات التبشيرية أثر كبير ودور فعال في توسع إنشاء المدارس ومن هذه المدارس:

- مدارس الإرساليات الكاثوليكية:

أسس الفاتيكان عام 1854م مركزين للتبشير والتوجيه المسيحي في عدن أحدهما في منطقة التواهي والآخر في منطقة كريتر ويرتبط بكل مركز مدرسة وكنيسة مما يدل على محاولة الربط الوثيق بين التربية والعقيدة، ومن خلال المدرسة يمكن ترسيخ أفكار العقيدة ومبادئها[1].

- مدرسة البادري: لم تكن من أقدم المدارس التبشيرية في عدن فحسب، بل هي أكبرها وأكثرها رسوخًا وتأثيرًا في المجال التربوي طيلة عهد الاحتلال البريطاني لعدن، وظلت هذه المدارس تغرس في أذهان طلبتها

(1) أحلام يحيى محمد علوي: التعليم في عدن 1937 - 1967م، (رسالة ماجستير) جامعة أبن رشد، يونيو 2001م، ص (138).

الفكر التبشيري المسيحي الذي يلتقي مع الأهداف الاستعمارية لبريطانيا.

و خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين تعددت مدارس الإرسالية الكاثوليكية ومنها:

- مدرسة القديس انطوني العليا للبنين في التواهي.
- مدرسة القديس يوسف العليا للبنين في كريتر.

وتتكون كل مدرسة من هاتين المدرستين من قسم ابتدائي وآخر ثانوي وفق (السلم التعليمي الحكومي السائد في عدن)، ويدير كل مدرسة راهب يشرف عليه المدبر الرسولي[1].

ومعظم مدرسي هاتين المدرستين غير يمنيين ولغة التدريس فيهما هي اللغة الإنكليزية وتقبلان تلاميذ من جميع الأجناس والطوائف في عدن، وتفرض رسومًا مدرسية على التلاميذ، وهما ككثير من المدارس الأجنبية الخاصة في البلاد العربية تستهوي الأسر المحلية الميسورة[2].

وكانت الإرسالية الكاثوليكية تشرف على هاتين المدرستين، وبلغ عدد تلاميذ هاتين المدرستين ومدرسة الكونفنت للبنات بكريتر التابعة للإرسالية الرومانية الكاثوليكية والمسماة (البادري) عام 1951م (1068) تلميذًا وتلميذة من بينهم (122) كاثوليكيًا.

وكان الطلاب بعد أن ينهوا الصف الرابع الثانوي يجلسون لامتحانات شهادة كامبردج أو شهادة الثقافة العامة اللندنية.

---

(1) المدبر الرسولي: هو ممثل الفاتيكان (البابا في عدن) والمسؤول عن المدارس من جهة الإدارة البريطانية في عدن من جهة أخرى، ولاسيما في مجال المناهج ومقابل هذا التنسيق تتلقى إدارة مدارس البادري إعانة مالية ودعماً معنويًا من السلطة البريطانية.

(2) كرامة سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن (1930 - 1970 م) ج1، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، بدون سنة نشر، ص (76).

- مدرسة الإرسالية الدنماركية (D. M. S): تأسست هذه المدرسة في شعب العيدروس بعدن حسب حجر الأساس الموجود بالمدرسة عام 1950م، وقد بدأت كمدرسة للبنين على غرار مدرستي الإرسالية الكاثوليكية ومدرسة (البادري) من حيث المناهج ولغة التدريس والسلم التعليمي[1].

وهي مدرسة نموذجية للبنين، وقد قام بفتح هذه المدرسة (كارل راسموسن) الدنماركي والمعتمد في عدن كوكيل عن جمعية الكتاب المقدس[2]، وأنشأ فرعًا لها في المعلا، وعلى الرغم أنه دانماركي الأصل فقد قام بدعاية كبيرة لإنكلترا وأكسب البلاد الإنكليزية سمعة طيبة[3].

وقد تحولت إلى مدرسة للبنات، وبلغ عدد التلميذات المسجلات فيها (40) تلميذة وكانت تدرس فيها الخياطة، ثم تحولت إلى مدرسة للأطفال من سنة أولى ابتدائي إلى سادسة ابتدائي[4]، درست فيها اللغة العربية واللغة الإنكليزية، وكان عدد الشُّعب ست شُعب،وكان يتم فيها تبشير الأطفال الصغار كل يوم أحد من قبل مديرة المدرسة (ماته) دون أن يمسوا القرآن الكريم أو الرسول ﷺ[5].

- مدرسة الإرسالية البروتستانتية الأسكوتلندية: وقد تأسست هذه المدرسة عام 1901 م في الشيخ عثمان[6] وكانت هذه المدرسة للبنين على

(1) علي صلاح الأرضي: مرجع سبق ذكره، ص (92).
(2) كرامة سليمان: مرجع سبق ذكره، ص (77).
(3) يعقوب هارولد: مرجع سبق ذكره، ص (110).
(4) تحول أسم المدرسة بعد الاستقلال الى مدرسة 11 أكتوبر، وحاليا أسمها مدرسة العيدروس.
(5) مقابلة مع مصطفى الطاهر ابن حارس المدرسة السابق، والحارس الحالي لها. كريتر - عدن 5 نوفمبر 2010م.
(6) شفيقة العراسي: مرجع سبق ذكره، ص (244).

غرار مدارس البادري من حيث كونها ابتدائية - ثانوية، وكانت لغة التدريس فيها هي اللغة الإنكليزية وتعود إلى شهادة الثقافة العامة (G C E) وكان آخر من تولى إدارة هذه المدرسة أحمد سعيد عفارة ثم أغلقت عام 1943م. واتبعت بعد ذلك النظام الدراسي في المدرسة الحكومية في المنهج والتأهيل وهذه معظمها معانة، وفرضت رسوم مدرسية، وأغلبية الملتحقين بها من الجالية الهندية المسيحية والأوربية لكن أهالي عدن لم يقبلوا تعليم أبنائهم في هذه المدارس وذلك لسببين:

- ما تفرضه من رسوم لا تتناسب والمستوى المعيشي العام للمجتمع.

- أنهم نظروا لها بريبة وشك، فكانت تظهر أعمالًا اجتماعية قيمة سعت من خلالها التأثير لاعتناق المسيحية، وكان يطلق عليها في الأوساط الشعبية من المجتمع العدني (مدرسة المغوية)[1].

إحصائيات التعليم:

بلغ عدد التلاميذ في عام 1951م في المدارس التابعة للإرسالية الرومانية الكاثوليكية والمسماة (البادري) وهي:

- مدرسة القديس يوسف للبنين بكريتر.
- مدرسة الكونفنت للبنات بكريتر.
- مدرسة القديس أنطوني للبنين بالتواهي.

بلغ العدد إلى (1068) تلميذًا وتلميذة من بينهم (122) كاثوليكيًا، ووصل مستوى الدراسة فيها إلى نهاية المرحلة الثانوية حيث يجلس طلبة الصف

(1) هناء عبدالكريم فضل: الجاليات في عدن1839 - 1967م (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة عدن، 2008م، ص (150).

الرابع الثانوي لامتحانات شهادة كامبردج أو شهادة الثقافة العامة اللندنية[1].

2 - تأسيس وحدات صحية ومستشفيات:

اتخذ أطباء الإرساليات المسيحية التطبيب وسيلة للتبشير فقد كتب ش.أ. مورسون في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية يقول:

«نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التبشير بين المرضى الخارجين في المستشفيات أن تأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح، وأن تدخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية».

ويرى أن للتبشير بين هؤلاء المرضى طريقين:

1 - أن يزور الطبيب المبشر المريض (المسلم) حتى يكون هذا المريض واسطة لجمع عدد غفير من المسلمين عنده في انتظار زيارة الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين، وحينئذ يكون التأثير على الحاضرين، وكسب ثقتهم بداية للإيحاءات النفسية ناهيك عن المريض وما يختلج في نفسه من مشاعر طيبة لمن يقف بجواره وهو في محنته، وأوقات ألمه وشدته، فربما تمكن الطبيب من الاستحواذ على مشاعر هذا الإنسان الضعيف، في لحظات تطبيبه و إزالة آلامه، لذلك كان ينبغي على الطبيب أن يكون مبشرًا.

2 - أن يقوم بعملية التبشير في المناسبات الأليمة عند موت أحد الأشخاص والميت لا يزال بين أهله لكي يعمدوه ولو في آخر لحظه قبل مواراته في التراب[2].

- بعثة جان كيث فالكونر:

أسست هذه البعثة التبشيرية التابعة للكنيسة البروتستانتية الأسكتلندية

(1) كرامة سليمان: مرجع سبق ذكره، ص (231 - 232).

(2) محمد زين العابدين طشو، عادل محمد درويش: مرجع سبق ذكره، ص (126 - 127).

مستشفى في الشيخ عثمان عام 1886م، ويأتي على رأس المبشرين اسم الدكتور (جون كمرون يونج)[1].

ويعتبر الدكتور أحمد سعيد عفارة من أبرز اليمنيين الذين تم تنصيرهم في عدن على يد هذه الإرسالية، فقد كان ممرضًا نبيهًا لفت أنظار البعثة فكافأته بمنحة دراسية عليا في بريطانيا مقابل تنصره حيث درس الطب وعاد مديرًا لمستشفى الإرسالية نفسها، والتي عرفت فيما بعد بمستشفى عفارة[2].

ولعب دورًا اجتماعيًا فعالًا، كما كان له دورًا في انخراط عدد من الشباب والمثقفين اليمنيين في العضوية الماسونية.

نستنتج مما سبق: أن الدكتور أحمد سعيد عفارة تنصر مقابل منحة دراسية ولم يكتف بذلك بل سعى مع الدكتور بيتراي لتنصير أبناء اليمن وزعزعة عقائدهم والملاحظ كذلك على أنه رغم تنصره فلم يغير اسمه وظل اسمه أحمد نسبة إلى الرسول ﷺ، وهذا جعل الشك يتسرب إلى أبناء عدن على أنه قد يكون تنصرًا ظاهريًا.

3 - الوسائل الثقافية:

أولاً: استغلال الصحافة والطباعة والنشرات:

منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى والمنصرون يسعون جادين إلى استغلال الصحافة استغلالًا واسعًا في سبيل التبشير، وما ذلك إلا لأن المنصرين رأوا أن المسلمين لهم شغف كبير بقراءة الصحف.

ويقرر المستشرق (هاملتون جب) أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذًا في العالم الإسلامي.

---

(1) عبده حسين أدهل: مرجع سبق ذكره، ص (108)

(2) كرامة سليمان: مرجع سبق ذكره، ص (77).

ثانيًا: الإذاعة:

لقد أدرك المبشرون أهمية الإذاعات في الوصول إلى أسماع العالم ولهذا أنشؤوا الإذاعات الخاصة بالدعوة إلى النصرانية ومنها:

- إذاعة مونت كارلو من فرنسا.
- إذاعة المركز المعمداني من بيروت بلبنان.
- إذاعة آسيا التبشيرية من الفلبين.

وغيرها من الإذاعات المسيحية التي تبث يوميًا من محطات مختلفة إلى مختلف البلاد العربية والإسلامية، ومنها إذاعة الفاتيكان التي تبث إرسالها بأكثر من سبع و أربعين لغة، أربع وثلاثون أساسية، وثلاث عشرة لغة استخدمت في مناسبات خاصة[1].

هذا فضلا عن أن لديهم أساليب مختلفة لاجتذاب المستمعين، من بينها تقديم نشرات إخبارية علمية وسياسية واقتصادية يعتبرها كثير من المستمعين ممتازة وصريحة، وأظهر مثال لذلك هيئة الإذاعة البريطانية، كما أنها تبث برامج لتعليم اللغة الإنكليزية للشعوب الناطقة بالعربية، وفي نهاية البرنامج يسألون المستمع إذا كان يرغب في اقتناء كتاب يحوي نصوصًا عربية مترجمة إلى الإنكليزية، وفي حال الموافقة يرسلون إنجيلًا مترجمًا.

ثالثًا: المكتبات:

- مكتبة الإرسالية الدانماركية:

تأسست المكتبة عام 1901م، وكان موقعها السابق موقع مكتبة الراشدون

(1) حسين محمد محمود: التنصير حقيقته وطرق مواجهته،ط 1، مكتبة الايمان، مكتبة الجامعة الازهرية 2010م، ص (96).

وبعد ذلك تم نقلها في شارع اسبلانيد في مدينه كريتر موقع اتصالات عاشور حاليًا.

وكان تباع فيها الكتب المدرسية والعامة ويتم تزويد مدارس الإرساليات منها وفيها كتب تاريخية، وثقافية إنكليزية، وكانت وسيلة التبشير عبارة عن صفحات كبيرة تعرف بالنُّبذ، فأثناء توزيعهم النبذ يتحدثون للناس بقولهم: «علشان المسيح يحبك»، أما مدير المكتبة فكان يدعى إمتردن ومواعيد فتحها من الساعة الثامنة صباحًا حتى الثانية عشر والنصف ظهرًا ومن الساعة الثالثة والنصف عصرًا حتى السادسة والنصف مساء، تفتح أبوابها يوميًا عدا يوم الأحد.

وكان هناك قساوسة يأتون من لبنان للتبشير في عدن منهم فؤاد العقاد الذي بدأ يباشر عامل المكتبة سالم عاشور بقوله: (هم في الشمس وأنت في الظلال) وحاول إغراءه بأن يكون مسئولًا في المكتبة وليس مجرد عامل عادي فيها.

وكان رواد المكتبة بعض من اليمنيين أمثال عبدالله فاضل فارع وكمال حيدر وآخرين وكان كذلك من روادها إنكليز.

وفي الخامس من يونيو 1967م أحرق سكان عدن بيت اليهودي الذي كان فوق المكتبة فحرقت المكتبة كذلك وحرقت الكتب التي فيها بالكامل.

وفي يوليو 1970م حاولت السيدة (مارته) إعادة فتح المكتبة، وبدأت بمراسلة المطابع البريطانية مثل أكسفورد واولمس وبعد ثلاثة أشهر وصلت الكتب إلى المكتبة، ومنها كتب ثقافية إنكليزية وكتب: النحو والحساب والمطالعة والكتب التاريخية، والإنجيل، ولكن نتيجة لسفر مارته وخروج المسيحيين من عدن فلم يعد لهم رصيد بالبنك فأغلقت المكتبة[1].

(1) مقابلة مع سالم عاشور: عامل في مكتبة الإرسالية الدانماركية في كريتر، 13 نوفمبر 2010م.

- مكتبة الإرسالية الاسكتلندية التبشيرية:

وكان موقعها بجانب مستشفى عفارة وهي تابعة للإرسالية الاسكتلندية التبشيرية في الشيخ عثمان وكانت نوعية الكتب كتب مسيحية منها الأناجيل الأربعة (مرقص ومتى ولوقا ويوحنا) فكانوا يوزعون هذه الكتب للترغيب بديانتهم فيعطون الكتب على سبيل الإعارة لأي عضو من اليمنيين، فهذه الكتب كانت بمثابة تشويق[1].

وكانت توزع كتيبات صغيرة على الناس لتنصيرهم مثل الحياة الجديدة في المسيح إضافة إلى بعض القصص التي تحكي قصة أحمد ويقصدون بها الرسول ﷺ و جوني ويقصد المسيح عيسى عليه السلام فيصورون أحمد يقع دائمًا في مأزق ودائمًا جوني من ينقذه[2].

4 - الوسائل الاجتماعية:

الأعمال الاجتماعية هي المناسبات التي تربط بعض البشر ببعضهم. فالبشر عادة مقسمون بسبب أعمالهم، من أجل ذلك يلجأ الناس إلى خلق جو اجتماعي يجمع بينهم في مناسبات مختلفة، في الحفلات الرياضية والخطابية وفي الأندية السياسية والأدبية، والمبشرون يعرفون هذه كلها في بلادهم فأحبوا أن ينقلوها إلى بلادنا، لا حبًا لنا أو لكي تكون الصلات بيننا أوثق والحياة عندنا أكثر فائدة، بل وسيلة لاختراق السور الذي ضربه العرف الشرقي حول الأسرة المسلمة كي ينفتح لهم باب جديد يلجون منه للتبشير بيننا[3].

(1) حسين محمد محمود: مرجع سبق ذكره، ص (96).
(2) مقابلة مع أحمد طاهر مقبل: 16 فبراير 2010م.
(3) مقابلة مع ناصر عرجي: 20 مارس 2010م.

المبشرون يستغلون عوز المعوزين وحاجة المحتاجين فكانوا يوزعون للناس المعونات، كما يوزعون للصغار اللعب والحلوى والهدايا باسم المسيح، وباستغلال هذا الواقع الأليم والظروف السيئة استطاعت الكنيسة أن تجد طريقها إلى جسم المجتمع الإسلامي.

- إنشاء الملاجئ:

احتواء أولاد المسلمين هدف أساسي من أهداف التبشير، ولا يعدم المبشرون الوسيلة للوصول إلى ما يريدونه، فالساحة أمامهم خالية، وتحت ستار أعمال البر والخير وشعار الرفق بالطفولة ورعايتها يتم التقاط الأطفال اللقطاء ووضعهم في محاضن التربية المسيحية.

وهناك ملجأ في الشيخ عثمان للمسنين يقوم على خدمتهم عدد من الراهبات.

- الاهتمام بالمرأة المسلمة:

إن للمرأة المسلمة دور خطير، فهي عصب الأسرة، وقد أدرك المبشرون هذه الخطورة للمرأة في المجتمعات المسلمة، وعلموا أن الوصول إليها هو الوصول إلى الأسرة المسلمة.

فنجد أنه لا توجد في عدن مدرسة للبنات يتعلمن فيها القراءة والكتابة والدين، كما يتعلمن الخياطة والتطريز والنسيج، وبهذا انتهزت جمعية التبشير بالدين المسيحي الفرصة، وفتحت مدرسة لبنات المسلمين يتعلمن فيها الخياطة والتطريز.

وهناك يتبشرن بالمبادئ المسيحية شيئا فشيئًا ويثقفن في التمدن المعكوس على الطراز الأوروبي وهو التبرج والذهاب إلى المتنزهات والنظر على لوحة السينما وما شابه ذلك من ضروب الحركات المنافية لتعاليم الإسلام.

فإذا أهملنا بنات المسلمين وتركناهن للراهبات والمبشرات يعلمنهن ما ينافي ديننا وتقاليدنا فذلك نذير لخراب الديار وشتات العائلات[1].

- الأندية:

كانت كل المدارس التابعة للإرساليات يتبعها نادٍ يمارس فيه الطلاب رياضة الجري والشطرنج وكرة القدم وسباق الخيل، ويعملون للشباب حفلة يومية الساعة الرابعة عصرًا يقدمون لهم فيها الشاي والكعك اللذيذ،ثم يقومون بتوزيع الكتيبات الخاصة بالتبشير عليهم ويبدؤون في استدراجهم للدخول في المسيحية.

نتائج عمل التبشير:

هناك عدة أشخاص من أبناء عدن ممن تم تنصريهم ولكنهم قلة قليلة لا يعدون على أصابع اليد الواحدة وكان أشهرهم على الإطلاق:

1 - الدكتور أحمد سعيد عفارة:

أسرة عفارة من الأسر العدنية الكبيرة، نزحت الأسرة من بير أحمد حاضرة مشيخة العقارب إلى مدينة الشيخ عثمان في مطلع القرن الماضي ولا يزال اسم الأسرة يطلق على أحد شوارع الشيخ عثمان.

نشأ أحمد سعيد عفارة في أسرة كانت ولا تزال محافظة،اشتهر أفرادها بالاستقلال، وتلقى مراحل تعليمه في عدن وظهر عنده النبوغ المبكر، وبرزت هذه الملاحظة عند البعثة التبشيرية الاسكتلندية التي كانت تدير مستشفى كيث فالكونر في الشيخ عثمان منذ 1886م[2].

---

(1) أحمد محمد سعيد الأصنج: نصيب عدن من الحركة الفكرية، جمع وإعداد عبدالله فاضل فارع، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ص (37).

(2) نجيب محمد يابلي: صحيفة الأيام،العدد (3655)، السنة (21)، 1 سبتمبر 2002م ص (2).

فأرسلته إلى بريطانيا لدراسة الطب هناك وتم تنصيره وعاد بعد الدراسة ليدير نفس المستشفى التي أصبحت فيما بعد تحمل اسمه (مستشفى عفارة).

أنشأت حرم الدكتور عفارة أولى محلات الألبان في عدن وبدأت بمفردها و بمباركة مجلس الكنيسة للمشروع، وأسهمت بذلك في مساعدة زوجها وفي مد يد العون للأهالي ماديا و معنويا. وكان يأتي إليها يوميا أكثر من سبعين طفلا لتعطيهم اللبن، و يتناولون أيضًا زيت كبد الحوت (القد) و الكالسيوم، و يتم إدخال بعض الأطفال إلى المستشفى للعلاج إذا ما استدعت حالتهم لذلك. و شجع نجاح عمل البعثة في هذا المجال الحكومة على تدشين مراكز طبية صغيرة في أماكن أخرى من المستعمرة.[1]

2 – محمد حسين بيحاني (الصياد):

من مواليد 1928م، توفي 1979م، كان مسلمًا، وتوفي والداه وهو طفل صغير وكان عنده مرض السل فكان يتردد عليه الدكتور فوذري فعندما كان يدعوه للتنصير كان يرفض، وفي عام 1957م تنصر وكان سبب تنصره اعتقاده بأن المسيحية أفضل من الإسلام، فعندما تنصر زار السودان والدانمارك وعند عودته أصبح أسقفًا لكنيسة حبرون، وكانت وصيته عندما يموت أن يتم التبرع بجثته لكلية الطب، ومات وهو مدين بمبلغ وقدره 600 شلن[2].

3 – محمد علي مرشد:

كان مدير مدرسة الإقامة حاليًا (المتحف الحربي) تنصر في عام 1966م، وسافر إلى بريطانيا عام 1967م، وكان أول مندوب لبريطانيا للتفاوض بشأن

---

(1) H. K. Robertson. Ibide.

(2) مقابلة مع أحمد حسين بيحاني: أخ المتنصر محمد حسين بيحاني، 8 أكتوبر 2010م كريتر – عدن.

المحميات وله ولد متنصر أيضًا، عين سفيرًا لبريطانيا في ليبيا عام 1975م، وسفيرًا لبريطانيا في قبرص عام 1991م، تم تعيينه سفيرًا لبريطانيا في صنعاء، زار عدن 1991م، وفي عام 1992م مات في قبرص فأرسلت بريطانيا بطائرة خاصة لنقل جثمانه إلى بريطانيا ودفن في بريطانيا.

سبب تنصره: لم يكن في حاجة ماسة للمادة فيتنصر من أجل الحصول عليها لأنه في حالة مادية ممتازة، وكان مدير مدرسة، وعندما سئل عن أسباب تنصره لم يعطِ أي إجابة.

وتأسيسًا على ذلك نجد بأن الأشخاص الذين تنصروا لأغراض ذاتية بحثه منهم: الدكتور أحمد سعيد عفارة، تنصر مقابل منحة دراسية لدراسة الطب في بريطانيا.

بينما محمد حسين بيحاني كان يعمل في بيع الأسماك وأصبح أسقفًا ولكنه مات مديونًا.

بينما محمد علي مرشد لم تدفعه الحاجة لتنصره ولكن تم تنصيره لأن بريطانيا تفضل أن تبشر المتعلم، والجاهل والميسور ماديًا فنستدل بذلك أن بريطانيا كانت تريد أن تنصر جميع أبناء عدن على مختلف مشاربهم[1].

---

(1) مقابلة مع مرشد علي مرشد / أخ المتنصر محمد علي مرشد، 22 أكتوبر2010م، كريتر – عدن.

الخاتمة

إن دراسة موضوع الإرساليات التبشيرية في ظل الاحتلال البريطاني لها (1839 - 1967م)،تمثل تجربة بحثية قيمة بسبب الأهمية الإستراتيجية التي تحتلها مدينة عدن، مما جعلها أكثر تعرضًا للأطماع التبشيرية في تنصير أبناء عدن عن دينهم الاسلام وتركهم بلا هوية ولا دين وكان ذلك هدفًا مقصودًا وأملًا منشودًا تسعى للوصول إليه منظمات التبشير العالمية من كاثوليكية وبروتستانتية وغيرها.

وفي نهاية البحث لا أدعي أنني قد شيدت بناء ليس موجودًا أو جلبت علمًا كان مفقودًا ولكن حسبي أني اجتهدت من خلاله، لأكشف خطرًا محدق بأرض إسلامية من أغلى البلاد على وجه البسيطة والتي تحيط بها الإخطار من كل جانب وكان هدفي من ذلك كله أن أقدم شيئًا يخدم الإسلام والمسلمين.

ولا أدعي لعملي العصمة فهذا من شأن الرسل ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

1. تعتبر عدن هدفًا مباشرًا للأطماع العالمية سواء على الصعيد الديني أو الاقتصادي.
2. اتخذ التبشير فيها أساليب متعددة ووسائل متنوعة ابتداءً بالإرساليات وانتهاءً بما جد من فضائيات وشبكات إلكترونية.
3. إن التبشير لا يهدف إلى تحويل عقائد أمة المسلمين إلى النصرانية

فحسب بل يسعى أيضًا إلى تدمير أخلاقها وقيمها ومبادئها وضياع هويتها.

4. تعد الكنائس بوابة مباشرة للعمل التبشيري من خلال ما تقوم به من ممارسات علنية ودعايات لاحتفالات دورية وسنوية.

5. إن التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة، فقد رأت بريطانيا جيوش المبشرين كنزًا ثمينًا لها فقررت أن تدعمها في أهدافها التبشيرية التي ستؤدي إلى تحقيق أهدافها الاستعمارية.

6. أن الجاليات الأجنبية في عدن كانت تمارس عبادتهم وطقوسهم داخل عدن بحرية تامة، ويعشون بسلام جنبًا إلى جنب.

7. أن التبشير في عدن لم يحقق أهدافه على الرغم من جهل سكان عدن إلا أنهم متمسكين بعقيدتهم الدينية.

8. أن بعض الذين تنصروا كانوا من عليه القوم ولم يكونوا معدمين.

الوسائل والإجراءات:

1. اتخاذ موقف حازم لإيقاف المد التبشيري في كل البلاد الإسلامية.

2. توعية الأمه بخطر التبشير من خلال كل الوسائل المتاحة كالفضائيات والإذاعات والصحف، والمواقع الالكترونية وغيرها.

3. إضافة مواد دراسية في المناهج التعليمة ابتداءً من المراحل الأولى إلى المراحل العليا تبين أخطار التنصير وأهدافه ووسائله.

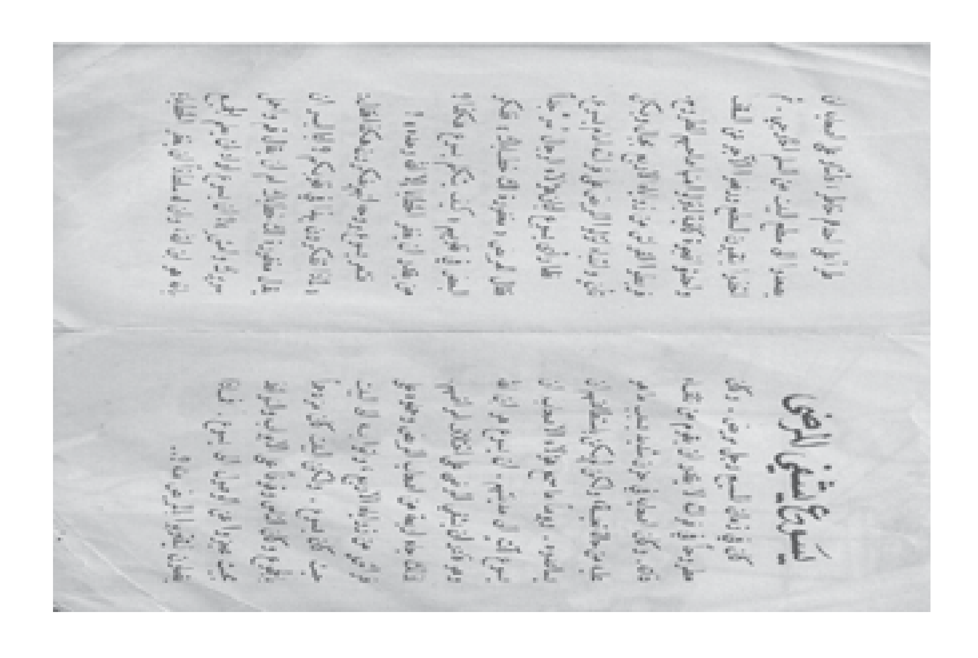
الملاحق

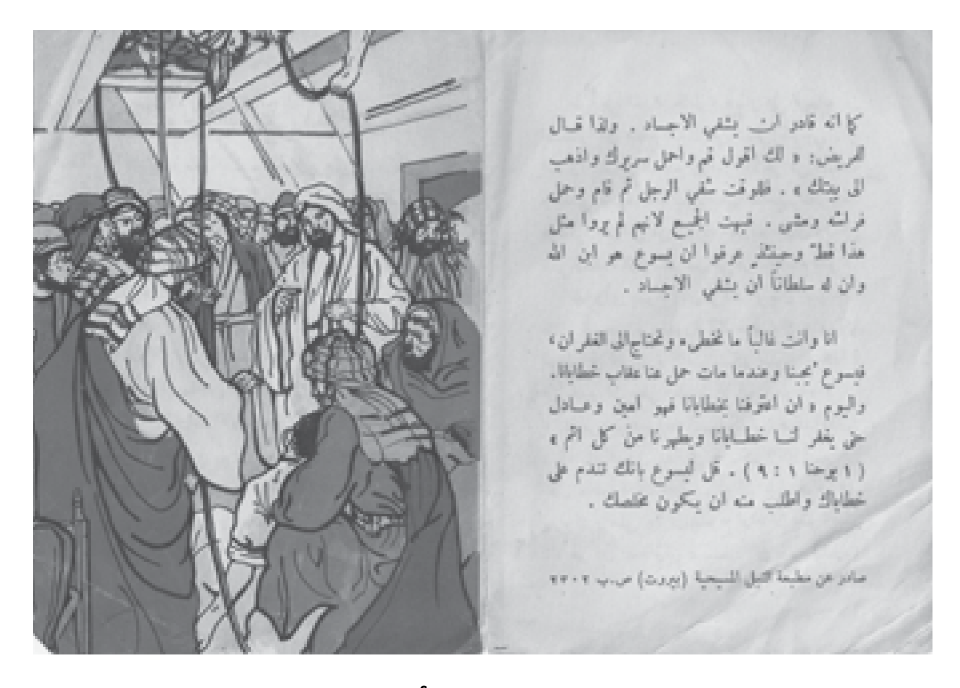


كانت توزع لتبشير أبناء عدن



كانت توزع لتبشير أبناء عدن





كما انه قادر ان يشفي الاجساد . ولذا قال المريض: « لك اقول قم واحمل سريرك واذهب الى بيتك » . فللوقت شفي الرجل ثم قام وحمل فراشه ومشى . فبهت الجميع لانهم لم يروا مثل هذا قط، وحينئذٍ عرفوا ان يسوع هو ابن الله وان له سلطاناً ان يشفي الاجساد .

انا وانت غالباً ما نخطئ، ونحتاج الى الغفران، فيسوع يحبنا وعندما مات حمل عنا عقاب خطايانا. واليوم « ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم » (١ يوحنا ١ : ٩) . قل ليسوع بانك تندم على خطاياك واطلب منه ان يكون مخلصك .

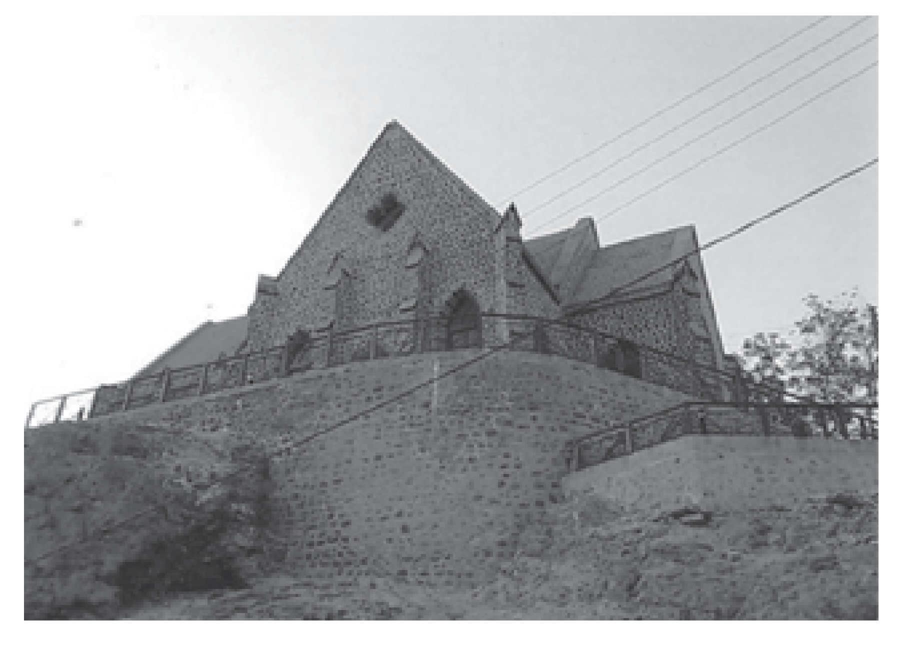
صادر عن مطبعة النيل المسيحية (بيروت) ص.ب ٢٠٢٢

كانت توزع لتبشير أبناء عدن





كنسية حافون



كنيسة القديسة ماريا في كريتر



كنيسة حبرون (حالياً منزل)



كنيسة رأس مربط



شعار الماسونية في كنيسة رأس مربط



كنيسة صلاح الدين



مدرسة الإرسالية الدنماركية حالياً مدرسه الضياء



حجر الأساس لمدرسة الإرسالية الدنماركية وفيها سنة التأسيس ١٩٥٠م







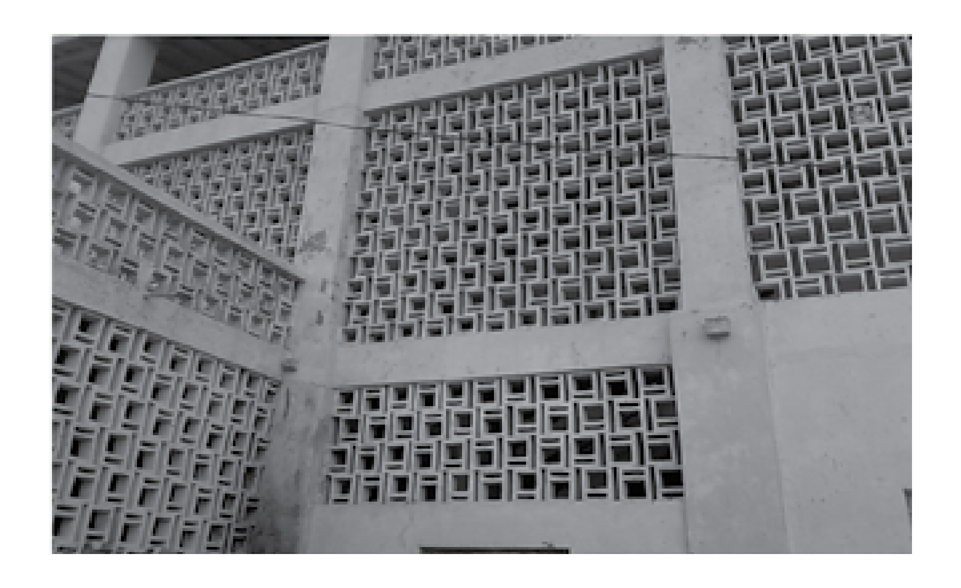
مدرسة البادري القديمة



مكتب التبشير بحارة حسين حالياً محل



مكتبة الإرسالية الدنماركية حالياً بن عاشور للاتصالات



مستشفى عفارة بالشيخ عثمان



مقبرة المسيحيين بحافون



الباحثة مع قس كنيسة رأس مربط

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1 - القرآن الكريم.

الوثائق العربية:

♦ مركز حنبلة للتوثيق:

- الحياة الجديدة في المسيح.
- من هو المسيح.
- يسوع يشفي المرضى.

الكتب العربية والمعربة:

- ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة1330هـ.
- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، المجلد الخامس، دار الجيل،بيروت.
- أحمد محمد سعيد الأصنج: نصيب عدن من الحركة الفكرية، جمع وأعداد عبدالله فاضل فارع، دار جامعة عدن للطباعة والنشر،د.ت.
- أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ط2،دار العودة، بيروت 1979م.
- أحمد عطية المصري: النجم الأحمر فوق اليمن،ط3،مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1988م.
- أحمد محمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر (1869 - 1914م) ط1، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة 2001م، جامعة عدن، الجمهورية اليمنية.

- أحمد محمد زين السقاف: أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، ط1، الكويت 1956م.

- أسمهان سعيد الجرو: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الاردن 1996م.

- السير برنارد رايلي: عدن واليمن، وزارة المستعمرات، ترجمة حامد جامع، لندن

- اف. ال. بلاي فيري: تاريخ العربية السعيد أو اليمن، ترجمة سعيد عبدالخير النوبان علي محمد باحشوان، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 1999م.

- جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1969م.

- جليان كنج: أهداف الاستعمار في عدن، تعريب وتعليق خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م.

- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط 1، ج6، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1970م.

- حمزة علي إبراهيم لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1990م.

- حسين أحمد فرحان: سكان عدن أرقام ومؤشرات، 5 - 7 مايو 1990م، الندوة العلمية الأولى (عدن ثغر اليمن)، ج2، دار جامعة عدن للطباعة والنشر.

- حسين فوزي النجار: بريطانيا والجنوب العربي، المكتبة الثقافية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967م.

- حسين محمد محمود عبدالمطلب: التنصير حقيقته وطرق مواجهته، مكتبة الإيمان مكتبة الجامعة الأزهرية،ط 1،2010م.

- حمزة علي إبراهيم لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1990م.

- خالد باوزير: (ميناء عدن) دراسة تاريخية معاصرة، دار الثقافة العربية،ط 1،الشارقة 201م

- سلطان ناجي التاريخ العسكري لليمن (1839 - 1967م)، الكويت شركة كاظمة، الكويت 1967م.

- سمير عبدالرحمن هائل، عدن المدينة والحراك الثقافي، الندوة العلمية الأولى (عدن ثغر اليمن) 5 - 17 مايو 1990م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ج1، 1990م

- شاكر الجوهري: الصراع في عدن، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1992م.

- شفيقة عبدالله العراسي: السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها 1937 - 1945م، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر،، 2004م

- صادق عبده علي: الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن، 1918 - 1967م، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط3، صنعاء 2004م.

- عبدالله محيرز: ميناء عدن، مجلة المنارة، العدد الرابع، مايو 1989م،اتحاد الأدباء والكتاب فرع عدن.

- عبدالرحمن جرجرة: أرضنا الطيبة هذا الجنوب، المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع والنشر بيروت، بدون سنة نشر

- عبدالله سعيد باحاج: ميناء عدن، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1، صنعاء،

- عبدالحفيظ محمصاني: اتحاد عدن مع إمارات الجنوب العربي، دار العاصمة للطباعة والنشر، ط1، بيروت 1962م.

عبده حسين أدهل: الاستقلال الضائع، ط2، دار العهد للطباعة والنشر.

- عبدالرحمن خبارة: نشوء وتطور الصحافة في عدن 1937 - 1967م، الأمل للطباعة والنشر، عدن، بدون سنة طبع، 1993م.

♦ عدن الازدهار الصحافي والثقافي بعد الازدهار الاقتصادي، الندوة العلمية الأولى (عدن - ثغر اليمن) 5 - 17 مايو 1990م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ج1، 1990م.

- عزالدين كشار: اليمن دنيا ودين، ط1، دار الهمداني، عدن 1988م.

- علوي عبدالله طاهر: عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار من عهد الزريعيين إلى عهد الاشتراكيين، (د. م)، 1997م.

- فاروق عثمان أباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (1839 - 1918م) الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة1976م.

- فتحي أبو طالب: الصراع الدولي على عدن والدور المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 32، 33.

- قحطان محمد الشعبي: الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن، عدن والإمارات، دار النصر للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة 1962م.

- كرامة سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن (1930 - 1970)، ج1، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، بدون نشر.

- محمود علي عاطف: النفط في اليمن (دراسة في جغرافية الطاقة) ط1، دار الثقافة العربية، الشارقة، 2002م.

- محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي للفترة ما بين 1507 - 1525، الإمارات، 2000م.

- محمد عبدالعال أحمد: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1980م.

- محمد زين العابدين محمد الطشو، عادل محمد بن محمد درويش: التنصير بين الماضي والحاضر وكيفية مواجهته، ط1،القاهرة2009م.

- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، مراجعة إبراهيم السامرائي، عبدالستار أحمد فراج، ج 3، مطبعه حكومة الكويت، 1967م.

- محمد عمر الحبشي: اليمن الجنوبي سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، دار الطليعة، ط1، بيروت 1968م.

- محمد يحي الحداد: تاريخ اليمن السياسي (قبل الإسلام وبعد الإسلام)، ط3 دار الهناء للطباعة، القاهرة 1976م.

- مديحه أحمد درويش: النشاط الأمريكي في جنوب البحر الأحمر1918 - 1944م،دار الشرق، جده 2008م.

- نـادي درويـش محمـد درويـش: الحـركات المناوئـة للدعـوة الإسـلامية في العصـر الحاضـر ووسـائل معالجتهـا (رسـالة ماجسـتير)، كليـة أصـول الديـن، قسـم الدعـوة والثقافـة الإسـلامية، جامعـه الأزهـر، مصـر، 1996م.

- نبيل هادي: 17 ساعة تاريخية عند باب المندب، دار الفارابي، بيروت 1978م.

- نصـر سـالم هـادي: عـدن الموقـع الاسـتراتيجي (أهميتـه التاريخيـة والمنافسـة الدوليـة للسـيطرة عليهـا)، النـدوة العلميـة الأولـى (الماضـي - الحاضـر - المسـتقبل) 16 - 17 مايـو 1999 م، الجـزء الثـاني، جامعـة عـدن للطباعـة والنشـر 1999م.

- هارولـد ف. يعقـوب. ك.س.آي: ملـوك شـبة الجزيـرة العربيـة، ترجمـة أحمـد المضواحـي، ط2،دار العـودة، بيـروت 1988م.

- الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا (مجموعة أبحاث) مركز الدراسات والوثائق، ط2، الإمارات 2001م

- التنظيم الاستعماري في عدن: ترجمة أحمد عبدالله فدعق، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق - سلطان عبدالعزيز المعمري: الندوة الوطنية التوثيقية للثورة اليمنية 14 أكتوبر أعداد وتوثيق مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط 1، صنعاء 1993م.

- ميناء عدن: نشرة شهرية تصدرها مصلحة الموانئ اليمنية الإدارة العامة للتسويق والإعلام ميناء عدن، العدد صفر ديسمبر 2005م، ص3. 1996م.

المراجع الأجنبية:

- Gavin, R. J, Aden Under British Rule 1839 – 1967, Company London, G. Hurst and 1975.

- Hunter, F. M, "An Account of British Settlement of Aden in Arabia" London, Frankcass and Company Limited 1968.

- The Arabian mission fieldreports Quarterly letters , neglecied arabia arabiacalling, volumei fleldreports ,nos – 1 – 26 , 1892 – 1898, nos. 27 – 4p ,1892 – 1901.

- Tomecauoe reanerarau, Blu – ue, cg – in, 1992, P. 61.

- S. M. Zwemer, Arabia: The Cradle of Islam, Edinburgh and London, Oliphant Anderson and Ferrier.

- Wikipedia, the Free Encyclopedia.

- H. K. Robertson, British – Yemeni Society, Nov. 1995.

مواقع الإنترنت:

1. www.startimes.com/f.aspx?t=31341836
2. www.startimes.com/f.aspx?t=20501897

المقابلات:

- أحمد طاهر مقبل: عدن، 16 / 2/ 2010م، في منزله بمديريه المنصورة

- أحمد حسين بيحاني: أخ المتنصر محمد حسين بيحاني، 8 أكتوبر 2010م في محل الاتصالات التي يعمل بها،كريتر - عدن.

- سالم عاشور: عامل في مكتبة الإرسالية الدانمركية وصاحب اتصالات عاشور مقر المكتبة السابق، كريتر - عدن، 13 نوفمبر 2010م.

- سعيد أحمد أغبري: مدير البنك الأهلي سابقًا واحد السكان المجاورين لكنيسة حبرون، كريتر - عدن 9 أكتوبر 2010م.

- سعيد محمد أنعم: أحد الزوار الدائمين لكنيسة حبرون، في منزلة بالشيخ عثمان - عدن 19 سبتمبر 2010م.

- عبدالله فاضل فارع، مستشار رئيس جامعة عدن، في مكتبه بالجامعة قبل وفاته، عدن، يونيو 2005م

- عبدالله العنسي: وهو من يقوم بمد المعسكر بالمواد الغذائية والخضار والفاكهة صلاح الدين - البريقة، 25 يونيو 2010م.

- محمد سالم القاضي: أحد الساكنين بجانب الكنيسة، منطقة صلاح الدين - البريقة، 20 يونيو 2010م.

- مرشد علي مرشد / أخ المتنصر محمد علي مرشد، 22 أكتوبر 2010م في منزله، كريتر - عدن.

- مصطفى الطاهر أبن حارس المدرسة السابق، وحاليا هو حارس المدرسة، في محل عمله بالمدرسة،كريتر - عدن 5 نوفمبر 2010م

- منصور يوسف المدراسي: المدير المالي والإداري للكنيسة، مقر الكنيسة في البنجسار - التواهي 2 فبراير 2010م.

- ناجل دوكنز: قس الكنيسة ومدير العيادة من العام 2009م، في مقر الكنيسة في البنجسار - التواهي في 2 أغسطس 2010م.

- ناصر عرجي: 20 مارس 2010م، في منزله بالشيخ عثمان - عدن.

الرسائل العلمية:

- أحلام يحي محمد: التعليم في عدن 1937 - 1967، رسالة ماجستير، جامعة أبن رشد، بغداد كلية التربية، يونيو 2001م.

- ذكرى عبدالملك مطهر: الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية، (من القرن الرابع حتى السادس الميلادي)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، في التاريخ القديم، كلية الآداب جامعة صنعاء 2003م.

- علي صلاح الأرضي: تاريخ التعليم في عدن 1839 - 1967م، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة عدن 1986م.

- أحمد عيسى: الحركة العمالية ودورها في مسار تطور الحركة الوطنية في عدن 45 - 1963م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عدن - كلية الآداب 2001م.

- هناء عبدالكريم فضل: الجاليات في عدن1839 - 1967م، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة عدن، 2008م الكنيسة في البنجسار - التواهي في 2 أغسطس 2010م.

الدوريات:

- القلم العدني

* (23) 3/ 2/ 1954م.

❋ (74) 9 /2 /1955م.

❋ (298) 4/ 8/ 1959م.

❋ (299) 12/ 8/ 1959م.

❋ (300) 19 /8/ 1959م.

- صحيفة الأيام:

❋ (3655) 1/ 9/ 2002م.

❋ (4362) 23 /12/ 2004م.

❋ (4680) 5 /1/ 2006م.

❋ (4791) 18 مايو / 2006م

- 14 أكتوبر

❋15498 20/ 6/ 2012م.

- صحيفة فتاة الجزيرة:

❋ العدد (450) 19 /12/ 1948م.

❋ العدد (522) 21/ 5/ 1950م.

❋ (387) 7/ 9/ 1947م.

❋ (1224) 7/ 1/ 1960م.

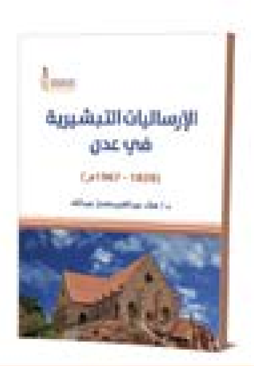
- المجلات:

❋ المنارة، مايو 1990م.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	3
المقدمة	5
التمهيد	9
الفصل الأول: أوضاع عدن ما قبل الاحتلال البريطاني	13
أ – النشاط البرتغالي الاستعماري في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:	13
ب – النشاط البريطاني:	21
ج – النشاط الهولندي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:	22
د – النشاط الفرنسي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:	25
هـ – نشاط الدانمركيين في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:	28
و – النشاط الأمريكي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية:	28
ز – عودة النشاط البريطاني والاهتمام بعدن:	31
الفصل الثاني: التغيير الأقتصادي والديمغرافي أثناء الاحتلال البريطاني	37
الوضع الاقتصادي لمدينة عدن:	38
المصفاة:	42
التغيُّر الديمغرافي والإحصاءات الرسمية للسكان في عدن:	46

الفصل الثالث: دراسة للإرساليات وأصولها السياسية والدينية 59
أ – مفهوم التبشير: 59
ب – مفهوم الإرساليات: 60
التعاون الفعال بين الإرساليات البروتستانتية: 63
– إرسالية الكنيسة الإنكليزية: 81
– الإرسالية البروتستانتية اللوثرية: 81
– إرسالية الكنيسة الأسكوتلندية: 82
الفصل الرابع: أهداف التبشير ووسائله ونتائجه 87
1 – أهداف دينية: 87
2 – أهداف استعمارية: 88
3 – أهداف سياسية: 89
وسائل التبشير: 89
نتائج عمل التبشير: 100
الخاتمة 103
الملاحق 105
قائمة المصادر والمراجع 117



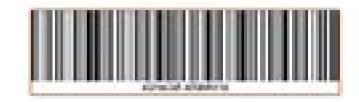
تواكبت محاولات التنصير مع الاستعمار المسلح لبلاد المسلمين، ولم يسلم المجتمع المسلم من هذه الظاهرة، ومن البلاد التي تعرضت لموجات تنصير مستمرة (عدن).

كان المبشرون يستخدمون كل الوسائل لتحقيق أهدافهم، ولنشر الفكر الهدام في ديار الإسلام، كما أخذ المد التبشيري يغزو العالم الإسلامي بخطوات واسعة يعاونه الفكر الاستشراقي والتمويل الغربي.

ويرصد هذا الكتاب تلك المحاولات في عدن في الفترة من 1839 إلى 1967م، مقدما معلومات وافية لهذه الحقبة التاريخية، وقد تجشمت الكاتبة صعابا شتى في جمع مادته وتوثيقها، نظرا لما يكتنف هذا الموضوع من حساسية خاصة، تحيط بكثير من المواقع التي هي جزء من البحث كالكنائس التي لا يسمح أحيانا بدخولها. كما حرصت الكاتبة على مقابلة بعض الشخصيات المعاصرة للحقبة الزمنية موضوع الكتاب وحصلت منها على معلومات مهمة لم تتطرق إليها الكتابات السابقة.







دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+